النَّثْر الفَنِّي في الأدب العُمانِي
حتى نهاية العصر الأموي

إعداد

أحمد بن محمد الرُّمْحي

أستاذ اللغويات المساعد بقِسْم اللغَةِ العَرَبِيَّةِ وآدَابها –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جَامِعَة الشَّرْقِيَّة – سلطنة عمان

المحتويات

الموضوع	
المقدمة	
دراسات سابقة في الأدب العماني القديم	
المحور الأول: حركة الأدب العُماني حتى نهاية العصر الأموي :	
١. بلاط الملوك العمانيين ومجالس أمرائهم	
٢. أيام العرب في عُمان	
٣. أسواق العرب	
المحور الثاني: مصادر النثر الفني في الأدب العماني حتى نهاية الدولة الأموية	
المحور الثالث: فنون النثر الفني في الأدب العُماني حتى نهاية العصر الأموي	
أولا	الخطابة
ثانيا	الرسائل
ثالثا	الوصايا
رابعا	التوقيعات
خامسا	المحاورات والرّدود
سادسا	القصص
سابعا	الحِكَم
ثامنا	الأمثال
الخاتمة	
المصادر والمراجع	

النَّثْر الفَنِّي في الأدب العُمانِي حتى نهاية العصر الأموي

أحمد بن محمد الرُّمْحِي

أستاذ اللغويات المساعد بقِسْم اللغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابها – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جَامِعَة الشَّرْقِيَّة – سلطنة عمان

البريد الإلكتروني: Ahmed.alrumhi@asu.edu.om

ملخص:

تأتي هذه الدراسة للوقوف على النثر الفنِّي في الأدب العُماني من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، وهو أدبٌ لم ينل حظَّه من عناية الدارسين ما ناله الشعر العُماني القديم.

وتروم الدراسة من وراء ذلك إلى الوقوف على النثر الفنِّي في الأدب العُماني في الحقبة الزمنية المدروسة من حيث أهمّ مصادره، وأظهر فنونه التي وصلت إلينا، وفي تضاعيف الدراسة يتكشّف للقارئ الكريم أبرز أعلام هذا النثر، وجانبًا من خصائصه الفنيّة، ونظرات النقّاد فيه.

ويسبق ذلك رَصْد لدراسات سابقة في الأدب العُماني القديم ولا سيما في النثر العماني، واستجلاء مضامينها، ثمّ تمهيد يتناول حركة الأدب العماني في الحقبة المدروسة، تسعى الدراسة من ورائه إلى استيضاح أهم البواعث في حركة الأدب العُماني.

وأخيرًا خرجت الدراسة بنتائج من أهمها: أنَّ قلّة الرواة وتأخّر عصر التدوين كان سببًا رئيسًا في قِلَّة ما وصلنا من هذا النثر في العصر الجاهلي، كما وقفت الدراسة على أنواع من الفنون النثرية، كانت فيها الخُطَب فالرسائل – فيما وصلنا– أوسع زمنًا وأوفر رواية، ثم يليهما الوصايا و(المحاورات والرُّدود) والأمثال والحِكَم، فالقِصص، ثم التوقيعات، وتبين أنَّ هذا النثر

الفنِّي في لغته وأسلوبه يغلب عليه الاسترسال ووضوح المعنى بعيدًا عن التقعُّر والإغراب، أما نمط التعبير فيه فنَجِدُ التعبيرَ بالمعنى المجرَّد، كما نَجِدُ التعبيرَ بالمعنى المُصوَّر.

الكلمات المفتاحية: النثر الفني – الأدب العماني – النثر الجاهلي – النثر الإسلامي

Artistic prose in Omani literature until the end of the Umayyad period

Ahmed Bin Muhammad Alramahi
Assistant Professor of Linguistics, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, A'Sharqiyah University, Sultanate of Oman
Email: Ahmed.alrumhi@asu.edu.om

Abstract:
This study comes to examine the artistic prose in the Omani literature from the pre-Islamic period until the end of the Umayyad period, a literature that did not receive as much attention from the scholars as the ancient Omani poetry.
The study aims from behind this to stand on the artistic prose in the Omani literature in the time period studied in terms of its most important sources, and showed its arts that reached us, and in the study's complications, the most prominent figures of this prose, an aspect of its artistic characteristics, and the critics' views on it are revealed to the honorable reader.
This is preceded by monitoring previous studies in ancient Omani literature, especially in Omani prose, and clarifying their contents, then a preface dealing with the movement of Omani literature in the period under study. The study seeks to clarify the most important motives in the movement of Omani literature.
Finally, the study came out with results, the most important of which are: that the lack of narrators and the delay in the writing era was a major reason for the scarcity of what we have received from this prose in the pre-Islamic era. Followed by commandments, (dialogues and responses), proverbs and wisdom, then stories, then signatures.

And it turns out that this artistic prose in its language and style is dominated by continuity and clarity of meaning far from concavity and strangeness. As for the style of expression in it, we find expression in the abstract sense, just as we find expression in the pictorial sense.

Keywords: artistic prose - Omani literature - pre-Islamic prose - Islamic prose

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد

فلا يزال أدبنا العربي القديم يشرق علينا بوَجْه مبدع تقرأ في محياه دِقّة الصياغة، وخِصْب الخيال، وجمال العبارة، ووَقْع الكلمة، وجَرْس أصواتها، فتتكامل العناصر الفنيّة لتصوِّر لك المشهد، وتُجسِّد لك المعنى، وهذا الإبداع يُحلِّق في سماء الأدب: شعره ونثره الفنِّي.

لكن المتابع لنتاجات الدراسات المعاصرة لأدبنا القديم يجد فيها أنَّ الشِّعْر –والشعر ذو شجون– قد زاحم النَّثْر، فكان له قَصَب السَّبْق والقِدْح المُعلَّى؛ إذ توجَّهت إليه أنظار الدارسين تكشف أغراضه، وتُجلِّي بلاغته ومعانيه، وتنقد هيكله الخارجي ونسيجه الداخلي.

وفي هذا السياق يتناثر في كتب الأدب والتاريخ نصوص شعرية ونثرية لأدباء عمانيين، وهي نصوص جديرة بالدراسة والتحليل، والنظر في وَقْعها في سياق أدبنا العربي الحافل بفنونه وأفنانه، وخياله وإيقاعه، وبلاغته وإبداعه.

من هنا تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على النثر الفنِّي في الأدب العُماني من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، وهو أدبٌ لم ينل حظَّه من عناية الدارسين ما ناله الشعر العُماني القديم، وهذا ما سينجلي لك عن قريب.

وتروم الدراسة من وراء ذلك إلى الوقوف على النثر الفنِّي في الأدب العُماني في الحقبة الزمنية المدروسة، فبَعْد رَصْد لدراسات سابقة في الأدب

العُماني القديم ولا سيما في النثر العماني، واستجلاء مضامينها، قامت الدراسة على ثلاثة محاور:

المحور الأول: يتناول حركة الأدب العماني في الحقبة المدروسة، وتسعى الدراسة من وراء هذا المحور إلى استيضاح أهم البواعث في حركة الأدب العُماني، وذلك في ثلاثة ركائز مهمّة، هي: بلاط الملوك العمانيين ومجالس أمرائهم، وأيام العرب في عُمان، وأسواق العرب.

المحور الثاني: يكشف أهمّ (مصادر النثر الفني في الأدب العماني حتى نهاية الدولة الأموية) المفقود منها والموجود، ويقف على أهم الأسباب في قِلّة ما وصلنا من هذا النثر.

المحور الثالث: يتناول أظهر فنون النثر الفني العُماني في الحقبة المدروسة، مما وصل إلينا، وفي تضاعيف هذا المحور يتكشّف للقارئ الكريم أبرز أعلام هذا النثر، وجانبًا من خصائصه الفنيّة، ونظرات النقّاد فيه.

ولم يكن من وَكْد هذه الدراسة الموجزة إحصاء أدباء النثر العماني في الحقبة المدروسة، ولا استقصاء ما نثروا، وإنما هي محاولة لإعطاء صورة واضحة عن تلك الفنون النثرية في الأدب العماني، مما وقع في الحقبة المدروسة.

دراسات سابقة في الأدب العُماني القديم

يُلحظ أن الدراسات المعاصرة في مجال الأدب العُماني القديم أولت اهتمامها بالشعر العماني من النثر، وهي ظاهرة تصدق على الدراسات في الأدب العربي عموما؛ لِمَا للشعر من حضور بارز ومصادر ثَرَّة، فَضْلا عن أنّ الحديث مع الشعر ذو شجون.

لأجل ذلك حظي الشعر العماني القديم بدراسات أدبية عديدة، منها:

- "الشعر العماني: مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية"، لعلي عبد الخالق علي، الصادرة عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- "الشعر العماني"، لمحمد سعيد عبد الحليم، الصادرة عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- "دراسات في الشعر العماني"، لسَعْد دعبيس، الصادرة عام ١٩٩٢م.
- "الشعر العماني حتى العصر الأموي"، لشكري بركات إبراهيم، الصادرة عام ١٩٩٣م.
- "في الشعر العماني القديم"، لمصطفى محمد الفكي أبو بكر، الصادرة عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- "شعراء عُمان في الجاهلية والإسلام"، لأحمد محمد عبيد، الصادرة عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

هذا فضلا عن تلك البحوث التي قُدِّمت في ندوات علمية، ففي عام ١٩٨٩م أقام المنتدى الأدبي بمسقط ندوة (قراءات في الأدب العُماني) قَدَّم فيها الباحث: خالد سعود المزيد (من رابطة الأدباء في الكويت) بحثه الموسوم بـ(كعب الأشقري: شاعر عمان في العصر الأموي)، وقَدَّم فيها أيضًا المهندس: سعيد بن محمد الصّقلاوي بحثه الموسوم بـ(ثابت قطنة ونزعته المثالية).

وفي عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م أقام المنتدى الأدبي أيضًا بمسقط ندوة عن (الأدب العماني القديم) قدِّمت فيها ثلاث أوراق بحثية، اثنتان منهما في الشعر العماني، وهما: (الشعر القديم في عمان) لمحمد بن ناصر المحروقي، و(عمان في الشعر القديم) لعبد المجيد بنجلالي.

كما توفّر بعض الباحثين على جَمْع ما تناثر من شِعْر أدباء تلك الحقبة، فقد جَمَعَ أكثر من باحث شِعْر الخليل بن أحمد الفراهيدي، وجُمِعَ

كذلك (شِعْر ثابت قطنة العتكي)، و(شِعْر كعب بن معدان الأشقري)، وكذا شِعْر ابن دريد الأزدي.

أمَّا **النثر الفني العُمانيّ القديم** فكانت العناية به قليلة، من ذلك كتاب "مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان المصادر– المناهج– المراحل– النماذج" لأحمد درويش الصادر عام ١٩٩٢م، فهذه الدراسة غلب عليها العناية بالشِّعْر، أمَّا النَّثْر فكانت عنايتها بالنثر الحديث أَظْهر، أما النثر القديم في أدب عمان فأقدم ما التفتت إليه الدراسة كان في العصر العباسي، فأشارتْ إلى جهود ابن دريد الأزديّ العُمانيّ في النثر الفني(١)؛ وأكَّدتْ على أثر (أحاديث ابن دريد) في نشأة المقامة الأدبية في الأدب العربي، وأكَّدت كذلك على "ريادة ابن دريد الواضحة في مجال الفنّ القصصي عامّة، وفنّ المقامة خاصّة في تاريخ الأدب العربي"(٢)، كما أشارت الدراسة إلى قوّة النثر الفنّي في عصر اليعاربة(٣)، وإلى فنّ المقامة عند ابن رزيق ومن جاء بعده(٤).

وفي هذا السياق أيضًا نجد دراسة بعنوان: "حياة عُمان الفِكْرية حتى نهاية الإمامة الأولى" لزايد بن سليمان بن عبدالله الجهضمي، نُشِرَتْ عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، وفيما له صلة بدراستنا تناول فيها الباحث في الفصل الثالث (حياة عُمان الأدبية) شِعْرًا ونثرًا، وفي النثر أورد (موجزًا عن أصحاب النثر من أهل عُمان)، وهم: آل رَقَبة، وآل صَوْحان، ومُرّة بن التَّلِيد اليحمدي، صُحار بن العبَّاس العَبْدي، وجابر بن زيد اليحمدي، وأبو حمزة

(١) مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، ص٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٧–١١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٨.

الشاري، وشبيب بن عطية العُماني(١)، ثُمّ عَرَضَ الباحثُ ثلاثة نتاجات نثريّة، وكشف مضامينها، وجانبًا من سماتها الأسلوبيّة، وتلك النتاجات هي: رسائل الإمام جابر بن زيد، وخُطَب أبي حمزة الشّاري، وسِيرة شبيب بن عطِيّة(٢).

ومن ذلك أيضًا ورقة بحثية قدّمت في ندوة عن (الأدب العماني القديم) عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، المشار إليها آنفا، بعنوان (مداخل للنثر العماني القديم) لمحمد عبدالله زرّوق، وقد وقفت هذه الدراسة على جنسين نثريين، هما الخطابة، والخبر، وفي الخطابة اعتمدت على (البيان والتبيين) للجاحظ فساقت منه مثالين للخطابة العمانية، أحدهما لصحار بن عيّاش، والآخر لصعصعة بن صوحان، وكذا اعتمدت على كتاب (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) فنقلت عنه نصّه المشهور الذي يحيل فيه إلى بيان الجاحظ متحدِّثًا عن خطباء آل الرقبة، وأفادت من كتاب التحفة أيضًا حديثَه عن الخطابة عند أبي حمزة الشاري.

أما في (الخبر) فقد ركّزت دراسته على "إظهار خصائص الإسناد في الرواية الأدبيّة من خلال دراسة منزلة ابن دريد في الأخبار"(٣).

وفي عام ٢٠١٣م يناقش الباحث خميس بن راشد بن سيف المنذري، رسالته للماجستير بعنوان "أبنية الرّسائل في التّراث العُماني من خلال كتابيّ: تحفة الأعيان، ونهضة الأعيان"، وقد أقام دراسته على أربعة فصول تناولت أنواع الرسائل، وهي: رسائل الوعظ والنُّصح، فرسائل الإفتاء

(١) حياة عمان الفكرية، ص١١٩-١٣٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٧-٢١٠.

(٣) مداخل للنثر العماني القديم، ص٢٣.

والأحكام، فالرسائل السياسية، فالرسائل العسكرية، وجعلت الدراسة حدودها فيما ورد من الرسائل في كتابي (تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان) للإمام نور الدين السالمي عبدالله بن حميد (١٣٣٢هـ) و(نهضة الأعيان بحرية عمان) لأبي بشير محمد بن عبدالله بن حميد السالمي (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، وبناء على ذلك امتدّ زمن الرسائل من أواخر القرن الثاني الهجري(١) إلى القرن الرابع عشر الهجري؛ وبذلك لم تتناول الدراسة الحقبة الزمنية السابقة من العصر الجاهلي حتى نهاية الدولة الأموية.

ويبرز في هذا المجال الباحثُ سالم بن سعيد البوسعيدي، الذي أصدر في عام١٤٣٦هـ/٢٠١٥م كتابه (الجامع في الأدب العماني) في ثلاثة مجلدات، لكنه أراد لكتابه هذا –كما صرَّح في مقدمته– أن يكون "قراءة مبسطة للناشئة وعامة الناس من غير المختصين، نظرة عامة على الأدب العماني"(٢)، فاختار من هذا الأدب "ما يقدم لمحات ومعالم عامة لكل عصر"(٣).

وفي العام الجامعي (٢٠١٦–٢٠١٧م) بجامعة نزوى يُقدِّم الباحث كمال بن عبدالله بن عباس الهنائي دراسة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير بعنوان: "التراكيب اللغوية والأساليب في الخطب العمانية (القرون الثلاثة الأولى أنموذجا) دراسة وصفية"، وأشار الباحث إلى أنَّه وقف على ثلاثة وعشرين خطيبا وعلى خمس وأربعين خطبة، ودَرَسَ هذه الخطب دراسة تحليليّة في فصلين، تناول في الأول منهما خمس ظواهر لغوية

(١) انظر: أبنية الرّسائل في التّراث العُماني، ص١٤، وص١٤٨.
(٢) الجامع في الأدب العُماني، ج١، ص١١.
(٣) المرجع نفسه، ج١، ص١٢.

كالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الفصل الثاني عالج في الخطب ثمانية أساليب لغوية كالتوكيد، والقَسَم، والشَّرْط(١)، والدراسة قدَّمت عملًا بحثيًّا جيِّدًا في حداثة موضوعها، وفي عنايتها باستقصاء الخطب في الحقبة المدروسة، ويبقى أنَّ حدودها البحثيّة توقَّفت عند الخطابة دون غيرها من أنواع النثر الأخرى.

ومما سبق يتبين أنَّ النثر الفنّي في الأدب العُماني في حقبة هذه الدراسة لا يزال يحتاج إلى مزيد بحث وتدقيق، ينبش مصادره، ويحصر فنونه، ويقف على نصوص منه، يتبين رُسُومها، ويكشف موضوعاتها، ويستجلي خصائصها الفنيّة، ونظرات النقّاد فيها، يُحلِّل ذلك ونحوه بصفتها جزءًا من حركة الأدب العربي الأصيل في الحقبة المدروسة، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة.

المحور الأول: حركة الأدب العُماني حتى نهاية العصر الأموي

يتأثر الأديب بما حوله من أحداث وأحوال وملابسات وزمان ومكان، وقد قيل: "الأدب ابن بيئته"؛ فالأديب يستمد أدبه من حياة المجتمع، ويتأثر بالحياة الخارجية السائدة، وهنا تأتي العبارة المأخوذة عن "دي بونا" والتيذ تقول: "إنّ الأدب تعبير عن المجتمع"، والأديب حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه لهذا المجتمع، والأدب تصوير لهذا الفَهْم ونَقْلٌ له(٢).

(١) التراكيب اللغوية والأساليب في الخطب العمانية (القرون الثلاثة الأولى أنموذجا) دراسة وصفية، ص١.

(٢) انظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، ص٢٥-٢٧.

من هنا جاء الأدب العربي القديم تعبيرًا عن حال مجتمعه في سِلْمه وحربه، وتصويرًا لوقائع من حياته اليومية، وانعكاسًا لتجارب حياة الفرد والجماعة.

وقد صَوَّرَ أدبنا العربي القديم مجتمعه في شعره ونثره، فجاء شعره مصوّرا ألم الفراق، وحياة البداوة التي لا تعرف الاستقرار، وجسّدت ما بين القبائل من منافسة ومفاخرة وحروب، وجسّدت في وجه آخر الرثاء والمدح والوصف.

وجاء نثره الفني في خطبه ورسائله ووصاياه وحكمه وأمثاله ليعبّر عن تأملات الأديب في الحياة، فصاغ في هذه القوالب خلاصة خبرته وعصارة حكمته.

وعاش الأديب العماني في جزيرة العرب ما عاشه من الأدباء في السِّلْم والحرب، وعبَّر عن مفرداته اليومية وصوّر تجارب حياته، في تلك الأشكال الأدبية المعهودة في الأدب العربي.

وثمة عوامل أذكت أدبنا العربي قديما، شكّلتها البيئة العربية بِبُعْدها الديني والسياسي والاجتماعي، فهنالك بلاط الملوك ومجالس الأمراء، وهنالك أسواق العرب، ومعترك أيامهم، فكُلُّ أولئك كان مرتعا خصبا يذكي في الأدباء شهوة الصِّيال، ومنابذة الأقران حيث المنافسة والمفاخرة، وإبراز براعة القول شعرا ونثرا، كلّ منهم يعبّر بأسلوبه، ويصوّر بذائقته.

ويظهر أنّ من أبرز ما أذكى الحراك الأدبي في عُمان في تلك العصور أنَّ طائفة من **ملوك عُمان وأشرافهم كانوا شعراء وخطباء**، فتنقل لنا المصادر خطبة مالك بن فهم في جيشه يستنهضه على مواجهة الفرس، وتروي له قصائد يفخر فيها بقومه، ويصف نزوله بأرض عُمان، ثم كان خَلَفُه على الملك ولده هناءة، وكان شاعرا، تروى له قصائد، منها ما يصف

فيها انتصار أبيه على الفرس، ومنها أبيات ينعى فيها والده، وأخرى في الحكمة، وكذا كان أخوه سليمة شاعرا، ومن أولئك الشعراء الذين كانوا أشراف قومهم سامة بن لؤي القرشي، نزيل عُمان قادمًا من الحجاز.

وكان **بلاط هؤلاء الملوك محجّ الشعراء**، فالشاعر أوس بن زيد مناة العبدي – وهو من القبائل المنتشرة في عمان والبحرين– يفد على مالك بن فهم يمدحه، فيجزل له مالك العطاء ويتخذه وزيرا له، ولم يزل بنوه مستقرين بعد بعمان بجوار الأزد(١).

ويؤول أمر ملك عُمان لاحقا إلى الجلندى بن المستكبر، فيفد إليه الشعراء يمدحونه، كقول أحدهم(٢):

جُلَنْدى الَّذِي أَعْطَى الوَدِيَّ بجِمْلها مُسَخَّرةً مِنْ بَين فَرْض وبَلْعَق

ويفد المُسَيَّب بن عَلَس إلى جَيْفَر بن الجُلَنْدى، وفيه يقول(٣):

---

(١) الأنساب، ج٢، ص٦٩٠.

(٢) انظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني، ص١١٥. / والوَدِيّ: الفسائل، والفرض والبلعق: من أجود التمور عند أهل عمان.

وجاءت رواية البيت في (جمهرة اللغة، مادة: كبس):

جُلَيْدُ الَّذِي أَعْطَى البِكَاس بجِمْلها .. مُسَخَّرةً مِنْ بَين فَرْض وبَلْعَق

على أنَّ (البَكْسَة) وجمعه (البِكَاس) هو صغار النَّخْل، وكذا هو في اللسان العُماني، ويظهر أنَّ في هذه الرواية تصحيفًا والصواب أن يكون البيت:

جُلَنْدى الَّذِي أَعْطَى البِكَاس بجِمْلها .. مُسَجَّرةً مِنْ بَين فَرْض وبَلْعَق

فتكون (جُلَيْد): (جُلَنْدى) وتكون (مُسَخَّرةً) بالجيم المعجَمة (مُسَجَّرةً) وقد فسَّر ابن دريد هذا اللفظ حين يوصَف به من النَّخْل بأنه: "الذي يُشَدّ عُذُوقها حولها"، و"النخلة المُسَجَّرة" في اللسان العُماني هي كما فسَّرها ابن دريد.

(٣) ديوان المُسيَّب بن عَلَس، ص٧٦.

إنِّـي امـرؤٌ مُهْـدٍ بغَيْـبٍ تحيَّـةً إلى ابن جُلَنْدَى فارسِ الخَيْلِ جَيْفَر
بها تُنْفَض الأَحْلاس والدِّيكُ نائمٌ إلـى مُسْـنِفاتٍ آخِـرَ الليـلِ ضُـمَّرِ

ويفد إلى الجُلَنْدى أيضًا رواية المُسيَّب بن عَلَس وابن أخته، وهو الأعشى ميمون بن قيس ومما قاله(١):

وجُلَنْـدَاء فِـي عُمَـان مُقيمـا ثـمَّ قَيْسًـا فِـي حَضـرمَوْت المُنِيـف

ويقول أيضا(٢):

وقـد طُفْـتُ للمـال آفاقَـهُ عُمـان فحمـصُ فَأُورِيشَـلِمْ

وفي العصر الإسلامي بعد أن دخلت عُمان في الإسلام طَوْعًا كان للدعوة الإسلامية أثر في نفوس الشعراء العمانيين، فمدحوا النبي ﷺ، وأظهروا دعوته، وحثّوا عليها، وهذا ما صوَّره شِعْر مازن بن غضوبة، وعائذ بن سلمة الأزدي، ومسيلة بن هزان الحداني، وغيرهم(٣).

وفي عهد الخلفاء الراشدين يصل وفد أزد عمان إلى المدينة المنورة بصحبة عمرو بن العاص بعد وفاة النبي ﷺ، فيلقي الشاعر العماني عقبة بن النعمان العتكي قصيدته بحضرة أبي بكر الصديق ﷺ، وفي هذا الموقف أيضًا يُلقي الوفد العماني خطبته(٤).

---

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص٣١٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) انظر: شعراء عُمان، ص٧٧، ٥٥، ٨٨، ٤٧.

(٤) انظر كتاب: الرّدة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، ص٥٦-٥٨.

أمّا في العصر الأموي فالروايات الأدبية تؤكِّد لنا أنَّ بلاط المهالبة في المهجر الأموي كان أَظْهَر بلاط أدبيّ عمانيّ حفل بالأدباء العمانيِّين وغيرهم في تلك الحقبة الزمنية(١)، فقد كان في بلاط المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي (٨٣هـ) ومن بعده ولده يزيد طائفة من شعراء العرب وخطبائهم، وفي مقدمتهم الشاعران العمانيان أبو مالك كعب بن معدان الأشقري الأزدي (٨٠هـ)، وأبو العلاء ثابت بن كعب العتكي الأزدي (١١٠)، فقد وصفا معارك المهلب وأبنائه، وفي خضم مفاخرة القبائل كانا ينافحان عن الحزب اليماني، فقد فاخر كعبُ بنُ معدان بريدَ بنَ حسّان الإيادي بمواقف ذات شأن لأشراف قومه أزد عُمان(٢).

كما كان من آل المهلب الشعراء والخطباء، فمن شعرائهم البختري بن أبي صفرة، والبختري بن المهلب، والمُفَضَّل بن المهلب، وبِشْر بن المهلب، وبشر بن المغيرة بن أبي صفرة(٣)، وهو أيضا من خطبائهم(٤).

وطبيعة هذا العصر اقتضت وجود خطباء يمثّلون قومهم في وفادتهم ومحافلهم، وآخرون يكونون سفراء عن أمرائهم، كما هو الشأن عند المهالبة في إيفادهم خطباء عمانيين يتحدثون بلسانهم ككعب بن معدان الأشقري، ومُرَّة بن فَهْم بن التّليد(٥).

---

(١) انظر مثلا: الأنساب، ص٦٠٢-٦٢٩.

(٢) انظر مثلا: شعر كعب بن معدان الأشقري، ص٩٩.

(٣) انظر: لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، ص١٢٧-١٣٣.

(٤) انظر: البيان والتبيين، ج١، ص٣٥٨.

(٥) انظر: البيان والتبيين، ج١، ص٣٥٨.

وتبرز طائفة أخرى من الخطباء العُمانيين في بلاط خلفاء بني أمية، كصحار بن عيّاش عند معاوية بن أبي سفيان، وكذلك خطباء آل صوحان(١)، الذين وصفهم معاويةُ بن أبي سفيان بأنَّهم "مخاريق الكلام"(٢).

وفي عهد بني أمية أيضًا تقوم إمامة طالب الحقّ عبدالله بن يحيى الكندي فيبعث بجيشه من اليمن إلى الحجاز، وهنالك تتجلى براعة قائده أبي حمزة المختار بن عوف الشاري السليمي العماني في خطبه البليغة المؤثّرة، حتى أنَّ الإمام مالك بن أنس قال عنه: "خَطَبنا أبو حَمْزة بالمدينة خُطبة شَكّك فيها المُستبصر ورَدّ بها المُرتاب"(٣).

وتحدثنا المصادر عن **أيام العرب في عُمان**، وهي أيام تؤرّخ شجاعتهم في حروبهم، فتبقى على الأيام تذكارًا بانتصاراتهم ومبعثًا على اعتزازهم، ويتفاخرون به في أدبهم، ومن أيام العرب في عُمان يوم سَلُّوت بين الفرس والأزد بقيادة مالك بن فهم(٤)، ويوم الرِّئَال بين الأزد وبني ناجية(٥)، ويَوْم جَنُوب بين الأزد وعبد القيس(٦)، ويوم حرب الردّة، فيوم سَلُّوت يؤرّخُ للأزد انتصارهم العظيم على الفرْس، وفاتحة لبناء دولة مستقلة، ويومٌ هذا شأنه لم يكن ليمر على أدباء ذلك العصر دون أنْ تسيل له قرائحهم، ومما حفظته

(١) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٩٦-٩٨.
(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٤٧.
(٣) العقد الفريد، ج٤، ص١٤٥، ٢٢٨.
(٤) الأنساب، ج٢، ص ٦٧٨-٦٨٩.
(٥) معجم ما استعجم، ص٤٨.
(٦) الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٥١.

المصادر لهذا اليوم، خطبة مالك بن فهم لجيشه يستنهضه لملاقاة الفُرْس، وكذا قصيدة قالها ابنه هناءة وقيل: إنها لبكير بن وائل الطّاحِي، ومما جاء فيها(١):

أَلا هَلْ أَتَى عَنَّا حِجَازِيٌّ قَوْمِنَا ... على النَّأْيِ أَنْبَاءُ الخَمِيْسِ العَرَمْرَمِ
وَمُنْذُ لَقِيْنَا المرزبان وقومه ... بكل فتًى عاري الأشاجع ضيغم

ويوم الرِّئَال تحدّث عنه الشاعر العُماني عَدِيّ بنِ وَدَاعٍ العِقْويّ الأَزْدِيّ، مصوّرًا انتصار قومه على بني ناجية إذ يقول(٢):

ناجِ بْنَ جَرْمٍ: فَما أَسبابُ جيرَتِكُم ... بَنِي قدامَةَ إِنْ مولاهُمُ فَسَدا؟
دَلَّيتُمُوهُمْ بِأَمْرَاسٍ لِمهلَكَةٍ ... جردٍ تُبَيِّنُ في مَهْواتِهَا جَرَدا
أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنَ الأَحْرَامِ فَانْتَجَعُوا ... يَبْغُونَ خَيْرًا فَلَاقُوا نُجْعَةً حَشَدَا
إِلى عُمَانَ فَدَاسَتْهُمْ كَتَائِبُنا ... يومَ الرِّئَالِ فكانوا مِثْلَ مَنْ حُصِدا

وفي يوم جَنُوب يقول الشاعر العمانيّ كعب بن معدان الأشقري مفاخرًا بريد بن حسّان الإيادي(٣):

إنّي مِنَ القومِ الذين قُرُومُهُمْ ... شهدوا جَنُوبَ(٤) ويوم صدمة عامر
قَرْمٌ أغرُّ كالهجانِ إذا بَدَا ... لقِرَاعِ زَحْفٍ كالعُقابِ الكاسرِ

(١) الأنساب، ج٢، ص٦٨٧.
(٢) معجم ماستعجم، ج١، ص٤٨./ ديوان الشعراء المعَمَّرِين، ص٤٥٧-٤٥٨.
(٣) شعر كعب بن معدان الأشقري، ص٧٤.
(٤) في الأصل (جبوب) وقد أشار محقق (شعر كعب بن معدان الأشقري) بأنها في (الطبقات الكبرى) لابن سعد: (جنوب)، وهو الصواب.

وفي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ قامت حرب الرّدة على ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي بدبا، فوصف عبّاد الناجي العماني هزيمة لقيط في قوله (١):

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك ... من الشر ما أخزى وجوه الثعالبِ
وبادى أبا بكر ومن هَلَّ فارتمى ... خليجان من تيّاره المتراكبِ
ولم تنهِهِ الأولى ولم ينكأ العِدا ... فألوت عليه خيله بالجنائبِ

ومما بقي من الشعر العُماني الذي يصوّر الحروب في العصر الجاهلي قصيدة الأعور بن عمرو بن هناءة بن مالك بن فهم الأزدي يصف انتصار جذيمة بن مالك بن فَهْم الأزدي على والد الزّباء(٢):

كأن عمرو بن ثربى لم يكن ملكًا ... ولم تكن حوله الرايات تختفق
لاقى جذيمة في جأواء مشعلة ... فيها حراشف بالنيران ترتشف

وتقع حَرْب بين بني حمام وهم من بني مالك بن فهم فيتحمل غرم دمائها الحارث بن كعب بن عبدالله بن حمام الأزدي، ويأتي إلى ربخة بن الحارث الأزدي يستعينه على تحمّل الدماء مذكِّرًا أياه برحم أبناء العمومة بينهم من أرومة مالك بن فهم، فيعينه ربخة، ومما قاله ربخة في ذلك(٣):

فقلتُ له أهلا وسهلا ومرحبا ... كُفيتَ بلا رَجْع برَجْع كلامِ
ولبَّيتُ داعيهِ وإنّي بمثلها ... نهوض إذا أحملت غير كهامِ

وكانت **أسواق العرب** مضمار تنافس بين الأدباء، ولا سيما الشعراء منهم، وكانت عدّتها ثلاثة عشر سوقا جاهليا، "قال أبو بكر محمد بن

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣١٦.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٦١٨.
(٣) شعراء عمان في الجاهلية وصدر الإسلام، ص٤٦.

الحسن بن دريد الأزدي، في إسناد ذكره أنّ أسواق العرب الكبيرة كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سوقًا، فأوّلها قياما: سوق دومة الجندل: وهي على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة، وعلى عشر مراحل من الكوفة، وعلى عشر مراحل من دمشق، حصنها ممرد وبها التقى الحكمان، ثم صحار، ثم دبا، ثم الشّحر، ثم رابية حضرموت، ثم ذو المجاز، ثم نطاة خيبرا، ثم المشقر، ثم حجر باليمامة، ثم منى، ثم عكاظ، ثم عدن، ثم صنعا"(١).

ولكل سوق من هذه الأسواق الموسميّة ميقات زماني، فبعد أن يقضي التّجّار في سوق المشقر بهجر من أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشّهر "يرتحلون منها إلى صحار أول يوم من رجب، في غير خفارة فيقدمونها لعشرين يوما تمضي من رجب، ... ثم يرتحلون منها إلى دبا، وكانت إحدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسّند، والصّين، وأهل المشرق والمغرب؛ فيقوم لها سوقها آخر يوم من رجب، ... ثم يسيرون بجميع من فيها من تجّار البحر والبر إلى الشّحر شحر مهرة فيقوم سوقهم تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود النّبي عليه السّلام"(٢).

وكذلك سوق (دَمَا)، فياقوت الحموي ينقل عن الأصمعي متحدِّثًا عن (دَبَا) بأنَّها: "سوق من أسواق العرب بعمان وهي غير دَمَا، ودَمَا أيضا من أسواق العرب، كلاهما عن الأصمعي"(٣).

وأعمر أسواق العرب عكاظ ومجنة وذي المجاز، يقصدها العرب بمختلف القبائل؛ إذ تقع في أيام حجهم(١).

---

(١) الأزمنة والأمكنة، ص٣٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٣) معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٥.

وتعدّ عكاظ المعرض العربي العام أيام الجاهلية، فهي مجمع أدبي لغوي رسمي، يعرض شعراء كل قبيلة شعرهم وأدبهم، فكان "يَحْمل إلى هذه السوق التهاميُّ والحجازي والنجدي والعراقي واليمامي واليمني والعُماني"(٢)، فـ"هي السوق التجارية الكبرى لعامة أهل الجزيرة، يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته، كما يحمل إليها أدبه"(٣)، هذا في الجاهلية أمَّا في الإسلام فقد خَلَفَ سوقُ المِرْبَد في البصرة سوقَ عكاظٍ بكثير من خصائص أسواق الجاهلية(٤).

أمّا الأسواق العُمانية الآنفة الذكر فيظهر أنه يغلب عليها الطابع التجاري، فلا تسعفنا المصادر بما يفيد وقوع مطارحات أدبية فيها، حالها حال أسواق العرب الأخرى باستثناء تلك الأسواق المشهورة كسوق عكاظ.

أما تلك الأسواق المشهورة فكانت تُعقد قبيل حجّ الجاهليين بمكة، وكان العرب يقصدون مكة حاجّين فيشهدون تلك الأسواق، فسوق عكاظ "كانوا ينزلونها في النصف من ذي القعدة، فلا يبرحون حتى يَرَوا هِلال ذي الحجة، ثم ينقشعون، وكان فيها أشياءُ ليست في شئ من أسواق العرب، فإذا أهلُّوا وانقشعوا ساروا بأجمعهم إلى ذي المجاز وهي قريب من عكاظ فأقاموا بها حتى يوم التروية"(٥).

==

(١) انظر: أسواق العرب، ص٢٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٧./ وانظر فيه أيضا: ص٢٩١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩٤./ وانظر فيه أيضا: ص٢٠٩.

(٥) الأنساب، ج١، ص٥٤.

وكان أهل عُمان حالهم كحال العرب يحجّون في الجاهلية إلى مكّة، فابن دريد يروي في جَمْهرته: "قال ثابت قُطْنَة عن أبيه: حدّثني شيخان منّا قالا: كُنّا فى الجاهلية بعُمان إذا أردنا الحجّ قلنا: هَلُمُّوا نَتَحَنَّفُ"(١).

أما مشاركة أدباء عُمان في هذه الأسواق الأدبية فلا تسعفنا به المصادر، سوى إشارة أوردها العلامة العوتبي في كتاب (الإبانة) عن خبر النسّابة الصحاري في سوق عكاظ، جاء فيه أنَّ: "عبد الله بن معاذ – يرفعه إلى هنيد التميمي– قال: إني لواقف بسوق عُكاظ إذا برجل من مَهْرَة، منزله صُحار عُمان، يُسمّى الصُّحاريّ، والناس تتلوه من كل جانب، يركب بعضُهم بعضًا، ويسألونه عن أنسابهم، وهو يُفسِّر لهم، وكان من أعلم الناس، فمرّ به وهو على تلك الحال عطاردُ بن حاجب بن زرارة، فسأل عن حاله، فأُخْبِرَ به، فقال: شاسِعٌ من مَهْرَة، ومنزله صُحار، ما أستفيد منه علما، فأبصره الصُّحاريّ فأعجبته شارتُهُ، فقال: ممن أيها الرجل؟ قال عطارد: فإنك لا تعرفني، قال الصُّحاريّ: إن كنت من العرب أو من أشرافهم عرفتك، قال: فإني من العرب: قال الصُّحاري: من أيّهم أنت؟ قال عُطارد: من مُضر، قال: لأغمرنّ اليومَ المُضَرِيّ: ثم قال الصُّحاري: أمِن الأرحاء أنت أم من الفرسان؟ قال عُطارد: فعرفت أن الفرسان قيس، وأن الأرحاء ولد إلياس، قال قلت: من الأرحاء، ...."(٢) إلى آخر الخبر الذي أورده العوتبي، وهو خبر يلمح إلى حضور عماني في سوق عكاظ.

---

(١) جمهرة اللغة، مادة: حنف.

(٢) الأنساب، ج١، ص٥٤–٥٦./ وانظر أيضا: الإبانة، ج١، ص٣٢–٣٣./ وانظره أيضا بعض الاختلاف في رواية: العقد الفريد، ج٣، ص٢٨٢–٢٨٣./ وفي: أمالي القالي، ج٢، ص٢٩٧–٢٩٨.

وقبل أن نجاوز هذه التوطئة يجدر أن نشير إلى أنَّ الأديب العُمانيّ في مهجره خارج عُمان ظلَّ معروفًا بأصالته العمانيّة، وهذا ما تشير إليه المصادر، ففي خبر يسوقه الطبري عن أحداث فتنة المطالبة بدم عثمان بن عفان كان زَيْد بْنُ صُوحَان في صفّ الإمام علي بن أبي طالب –كرّم الله وجهه– ورفض تثبيط الناس عن نصرة الإمام، وصرَّح لهم بذلك عَلَنًا، "فَقَامَ إِلَيْهِ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ فَقَالَ: "يَا عُمَانِيُّ"– وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ عُمَانَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ البَحْرَيْنِ– سَرَقْتَ بِجَلُولاءَ فَقَطَعَكَ اللَّهُ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللَّهُ! مَا أَمَرَتْ إِلا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بِالإِصْلاحِ بَيْنَ النَّاسِ"(١)، والكلام الوارد في النصّ بين الشرطتين هو تأكيد من ابن جرير الطبري لكلام ابن رِبْعِيٍّ على عمانيّة آل صوحان.

ومثل ذلك كثير فيما قيل عن المهالبة(٢)، فالحجاج بن يوسف الثقفي يقول للمهلب بن أبي صفرة –بعد أن اعتمدت الدولة الأموية على المهلب

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٨٣.

(٢) لأبي نواس الحسن بن هانئ(١٩٨هـ) أبيات على مذهب الشعوبيّة ينبز العرب في افتخارها بقبائلها وأعلامها، ومنها افتخار أزد عُمان بالمهلب بن أبي صفرة (العقد الفريد، ج٣، ص٣٥٦)، إذ يقول:

وجاورت قوما ليس بيني وبينهم ... أواصر إلا دعوة وبطون
إذا ما دعا باسمي العريف أجبته ... إلى دعوة ممّا عليّ يهون
لأزدُ عمان بالمهلّب نزوة ... إذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر يرى أن النّبوة أنزلت ... على مسمع في البطن وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أنّ واحدا ... كأحنفنا حتّى الممات يكون
فلا لمت قيسا بعدها في قتيبة ... إذا افتخروا إنّ الفخار فنون

لقتال الأزراقة الخوارج- في رسالة وجَّهها إليه: "واخترتُك وأنت من أهل عُمان، ثم رجل من الأزد، فَالْقَهُمْ يوم كذا في مكان كذا"(١).

ومن تلك الأخبار أنَّه بعد أنْ ولَّى سلمُ بن زياد خراسانَ للمهلب بن أبي صفرة وولّى ما حولها رجالا مضريين من بكر بن وائل "لقيه عَبْد اللَّهِ بن خازم فَقَالَ: من وليت خُرَاسَان؟ فأخبره، فَقَالَ: أما وجدت فِي مضر رجلا تستعمله حَتَّى فرقت خُرَاسَان بين بكر بن وائل ومزون عمان!"(٢)، وهو يريد بمزون عُمان المهلب بن أبي صفرة، فمزون اسم عُمان قديمًا، ونحو ذلك كثير في المصادر(٣).

كما أنَّ أدبهم ينزع في فَخْره بأشراف أهل بلده عُمان، وإن كان هو في مهجره، وذلك ما نجده -مثلا- في شعر كعب بن معدان الأشقري، وثابت بن كعب العتكي.

المحور الثاني: مصادر النثر الفني في الأدب العماني حتى نهاية الدولة الأموية

لا تمدّنا المصادر بصورة واضحة عن النثر العماني في العصر الجاهلي، ولم يصلنا إلينا منه إلا لمحات، لا تنقع الغليل، ولا تشفي العليل، أمَّا العصر الإسلامي فكان أوفر حظًّا من سابقه، ولا سيما العصر الأموي؛ فقد وصلنا من النثر العماني في المهجر الأموي عدد من الخطب والمحاورات والمقولات الأدبية، وهي فنون تكشف لنا صورة للنثر العُمانيّ في

(١) الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٦٩٥./ الفتنة ووقعة الجمل، ص١٤٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج٥، ص٥٤٦.

(٣) انظر مثلا: الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٦١٣، ٦١٤، ٦٨٤، ٦٩١./ الأنساب، ج٢، ص٦١٥./ جمهرة رسائل العرب، ج٢، ص١٩٥.

تلك الحقبة، من حيث أشكاله، وموضوعاته، وخصائصه، والسياق التاريخي الذي جاء فيه، وهذا بلا شكّ يمثّل جزءًا من الأدب العربي عمومًا، وفق ما تمليه عليه بيئته السياسية والاجتماعية والثقافية.

وقِلَّة ما وصلنا من النثر العمانيّ في العصر الجاهلي إنّما يحكي واقع الأدب العربي عموما، في قِلَّة ما وصلنا منه، فابن سلام الجمحي ينقل عن أئمة اللغة الأوائل قولهم: "قَالَ يُونُس بن حبيب قَالَ أَبُو عَمْرو بن العَلَاء مَا انْتهى إِلَيْكُم مِمَّا قَالَت الْعَرَب إِلَّا أَقَله، وَلَو جَاءَكُم وافرًا لجاءكم علم وَشِعْر كثير"(١).

والجاحظ حين جاء يحدِّد العصر الجاهلي جعله بين مائتي عام ومائة وخمسين قبل الإسلام، إذ يقول: "فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له- إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"(٢)، وبغض النظر عن الجدل في أي الفنين أسبق من الآخر: الشعر أم النثر، فإنّ استظهار الجاحظ لولادة الشعر إنما يقع أيضًا على النثر، وهذا الاستظهار الزمني يقودنا إلى تساؤل عن النثر العماني في العصر الجاهلي، ولا سيما إذا علمنا أنّ القبائل العربيّة استقرّت بعُمان قبل مجيء مالك بن فهم(٣)، ثم كَثُرَ نزولها بعد مجيء مالك، حتى أنَّ الدولة العمانيّة في تلك الحقبة امتدت غربًا فشملت البحرين واليمامة(٤)، فهذا

(١) طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٥.

(٢) الحيوان، ج١، ص٥٣.

(٣) انظر: عمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، ص٣٣.

(٤) الأنساب، ج٢، ص٧٥٨.

الامتداد الزماني والمكاني يضعنا في تساؤل عن النثر العُماني في تلك الحقبة الأدبية.

ومهما يكن الأمر عن النثر العُماني في العصر الجاهلي فإنَّ قلّة الرواة وتأخّر عصر التدوين سببان رئيسان في قلّة ما وصلنا منه، وهذا يظهر جليًّا في وفرة ما وصلنا منه في المهجر الأموي حين تهيّأ له رواة في حواضر العراق العلمية ينقلونه، ثم يتلقّفه منهم العلماء كالمُبرِّد والجاحظ فيثبتونه في مؤلفاتهم القيّمة.

أمَّا كتاب الأنساب للعلامة العوتبيّ، الذي عاش في القرن الخامس الهجري، فبينه وبين العصر الجاهلي بونًا زمنيًا شاسعًا، فلم يُتحْ له أن ينقل من النثر العُمانيّ في تلك الحقبة إلا النزر اليسير، وذلك لسببين مهمّين، أولهما: قلّة ما وصله عن تلك الحقبة، وثانيهما: أنَّ موضوع كتابه لا يبحث في هذا الغرض؛ إذ أراده مؤلِّفه ليكون "كتابًا جامعًا لأنساب العرب"(١)، وإن اقتضاه السياق أحيانًا إلى ذِكْر "شيء من الأخبار وشواهد الأشعار"(٢)، فمنهجه في جميع ما اقتصَّ من تلك الأخبار "الإيجاز والاختصار"(٣) على حَدِّ قوله، في خطبة كتابه، وهو يكشف عن منهجه.

يُضاف إلى هذا إشكال آخر وهو فَقْد مصادر أدبية عمانيّة قيّمة، وفي مقدمتها (كتاب الأمثال) لصحار بن عيَّاش العَبْدي العُمَانيّ (٤٠هـ)، ويُعَدّ هذا السِّفْر أقدم كتاب جَمَع الأمثال إلا أنَّه مفقود، وهو مظنّة احتوائه على

(١) المرجع السابق، ج١، ص٥٢.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٥٢.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٥٢.

أمثال عمانيّة لاكتها ألسن أهل عُمان وتناقلتها أفواههم، ثم شاعت بين العرب.

ومن المصادر الأدبية العمانيّة المفقودة أربعة كتب ألَّفها العلامة أبي المنذر العوتبي(ق٥هـ)، إذ يقول في كتابه (الأنساب): "وحملني أن أنظم كتابًا في الأنساب لأنه قد تقدّم لنا كتاب (تَبْيِين الحكمة) في الحِكَمِ والأمثال، وبعده كِتَابُ (مُحْكم الخَطَابة) في الخطب والرسائل، وجعلت كتاب (مُوَضّح الأنساب) واسطة، وبعده كتاب (ممتع البلاغة) في الوفود والوافدات، وإليه كتاب (أنس الغرائب) في النوادر والأخبار والفكاهات والأسمار، لأن هذه الأربعة الأجزاء التي... (١)"(٢)، "وهذه إشارة مهمة ومحزنة جدا، فهي

(١) أشار المحقِّق في الهامش أنّ الكلام هنا منقطع.

(٢) الأنساب، ج١، ص١٤٨./ البحَّاثة سلطان بن مبارك الشيباني يرى في نسبة هذه المؤلَّفات إلى العوتبي أنَّ "التَثَبُّت في أمرها مطلوبٌ قبل نِسْبَة شيء إليه"، ويقول مُعلِّقًا على هذه الفقرة التي نقلناها من كتاب الأنساب: "وهي عبارة غامضة، فَلْيتأمَّلها المتأمِّل". (انظر ترجمته للعوتبي في مقدِّمة كتاب: الأنساب، ج١، ص٢٣).

وهذه الفقرة وردتْ في الترجمة عند الشيبانيّ، وهي أدقّ من ورودها في كتاب الأنساب الذي صُدِّرَ بترجمة الشيباني للعوتبي، فقد جاءت عند الشيباني: "وحملني أن أنظم في هذا الديوان كتابًا في الأنساب لأنه قد تقدّم لنا كتاب يُبيِّنُ الحكمة في الحِكَمِ والأمثال، وبعده كِتَابُ مُحكم الخَطَابة في الخطب والتَّرسُّل، وجعلت كتاب موضح الأنساب واسطةً، وبعده كتاب مُمْتِع البلاغة في الوفود والوافدات، ويليه كتاب أنس الغرائب في النوادر والأخبار والفكاهات والأسْمَار، لأن هذه الأربعة الأجزاء التي...[منقطع في الأصل]" هكذا جاء النصّ عند الشيباني، وقد وثَّق مصدره بأنه من (الجزء الأول/ص١٠٣-من الطبعة الثالثة: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

تشير إلى أن ثمة كتب جمعت مادة أدبية، نثرية وشعرية، كانت ستقدم صورة واضحة عن الأدب العُمانيّ القديم، لو وصلت إلينا"(١).

فمن دلالة عنوانات هذه الكتب يتبين أنها تحوي مادة أدبيّة قيّمة، في الحِكَم والأمثال، والخطب والرسائل، ومقالات الوفود، والأخبار والقصص، وهذا يُنبئ عن أنَّ للأدب العُمانيّ نصيبًا وافرًا في هذه المؤلَّفات، إذ المعهود من العلامة العوتبي – من خلال ما وصلنا من مؤلَّفاته – عنايته بأدب قومه ولغتهم، ويكفي في ذلك إشارة ما حفظه لنا كتابه (الأنساب) من أشعار أهل عُمان، وما ألمح إليه من فصاحة أهل عُمان ولغتهم في مستهلّ كتابه (الإبانة)(٢).

هذا فضلا عن فقدان مصادر أخرى كانت ستقدّم لنا نصوصا أدبية عمانيّة، ككتاب (أيادي الأزد) لأبي عبيدة معمر بن المثنى(٢٠٩هـ)(٣)، وكتاب (تفرّق الأزد) لهشام بن محمد الكلبي(٢٠٤هـ)(٤)، وكتاب (أنساب أزد عُمان) لمحمد بن صالح النطاح (٢٥٢هـ)(٥)، وكتاب (أشعار الأزد) لأبي سعيد السُكّري(٢٧٥هـ)(٦).

ومع هذا الفَقْد المُؤْسِف لتلك المصادر الثرّة لم تَخْلُ كتب الأدب الأُوَل من الحديث عن النثر العماني في تلك الحقبة، وفي مقدمتها (البيان

(١) الشعر القديم في عُمان: نظرات في أصول الشعر العُماني، ص٣٥.
(٢) انظر: الإبانة، ج١، ص٣١-٣٧.
(٣) الفهرست، ص١٧٧.
(٤) المرجع نفسه، ص١٢٥./ وقيل: إنَّ وفاته عام ٢٠٦هـ.
(٥) المرجع نفسه، ص١٣٧.
(٦) المرجع نفسه، ص١٩٣.

والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ (٢٥٥هـ)، و(الكامل في الأدب واللغة) لأبي العباس محمد بن يزيد الأزدي المبرِّد (٢٨٥هـ)، و(الأمالي) لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ) تلميذ اللغوي ابن دريد الأزديّ العُمانيّ(٣٢١هـ).

وهذه المصادر الثلاثة لها من الأهمية أنها تُعَدّ في مقدمة كتب الأدب، كما يرى ابن خلدون(٨٠٨هـ)(١)، فكان لها السبق في تدوين الأدب العربي وحفظ تراثه القيّم.

أمَّا بيان الجاحظ فقد تناثر فيه حديث عن خطباء عُمانيين من الأزد وعبد القيس، وساق بعضًا من خطبهم ووصاياهم وحواراتهم ورسائلهم(٢)، ونحو ذلك أيضًا في كتابه (الحيوان)(٣).

أما كامل المبرِّد فقد احتفى بأدب المهالبة العمانيين، فجاء في كتابه باب (تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم)(٤)، ورَوَى فيه كثيرًا من خطب المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي ورسائله ووصاياه لبَنِيه، هذا فضلًا عن خطب ومقالات أخرى لعمانيين من المهالبة وغيرهم تناثرت في كتابه(٥).

---

(١) يقول ابن خلدون: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (يعني الأدب) وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر (يعني الأمالي) لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها" مقدمة ابن خلدون، ص٥٠٧.

(٢) انظر مثلا: البيان والتبيين، ج١، ص٩٦-٩٩، ٣٥٨.

(٣) انظر: الحيوان، ج١، ص٤٠، ٤٣./ ج٣، ص٦٧.

(٤) انظر: الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٦٦١-٧٢١.

(٥) انظر -مثلا-: المرجع السابق، ج١، ص٧٢/ ج٢، ص٧١٤، ص٥٧٢.

أمَّا أمالي القالي فقد جاء فيه بعض تلك الأخبار الأدبية مما أورده المبرِّد في كامله عن المهالبة وغيرهم من العمانيين الذين عاصروا العهد الأموي، وثمَّة أخبار أخرى رواها القالي ولم ترد عند المبرِّد، وإن كانت قليلة(١)، لكن الملفت للانتباه عناية القالي ببيان سند روايته، فجُلّ هذه الأخبار الأدبية العمانية حدَّثه بها شيخه ابن دريد الأزدي العماني عن السكن بن سعيد الجُرْمُوزيّ (والجراميز من القبائل العمانية(٢)) عن محمد بن عبَّاد المهلبيّ ثم يستمر سند الرواية عمَّن عاصر العهد الأموي.

وثمة مصادر أدبية أخرى كالعقد الفريد لابن عبد ربّه (٣٢٨هـ)، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ)، ومصادر تاريخية كتاريخ الطبري(٣١٠هـ)، اعتنت بذكر الخطب السياسية والعسكرية في سياق أحداثها التاريخية.

وتوفّرت بعض المصادر على عقد باب تسرد فيه الأدب النثري عند المهالبة، وهذا ما نجده عند أبي سعد الآبيّ (٤٢١هـ)، فقد عَقَدَ البابَ الرابعَ من كتابه (نثر الدر في المحاضرات) في (كَلَام المُهلب وَولده) فأتى بأمثلة وفيرة من خطبهم ورسائلهم ووصاياهم(٣).

(١) انظر –مثلا–: الأمالي، ج٣، ص١٨٢.

(٢) من أبناء جُرْموز بن الحارث بن مالك بن فهم، انظر: الاشتقاق، ص٥٠٠.

(٣) انظر: نثر الدرّ في المحاضرات، ج٥، ص٤٥–٤٨.

المحور الثالث: فنـــون النثر الفني في الأدب العماني حتى نهاية الدولة الأموية

مصطلح (النثر) في هذه الدراسة إنما يجري مفهومه على ما هو معهود في الدراسات الأدبية، التي تُنَحِّي "النثر العادي الذي يتخاطب به الناس في شؤون حياتهم اليومية، فإن هذا الضَّرْب من النثر لا يعدّ شيءٌ منه أدبًا إلا ما قد يجري فيه من أمثال، إنما الذي يعدّ أدبًا حقًّا هو النثر الذي يقصد به صاحبُه إلى التأثير في نفوس السامعين، والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء"(١).

وعلى هذا تُقسِّم الدراسةُ فنونَ النثر العُماني إلى ثمانية أصناف، هي: الخطابة، والرسائل، والوصايا، والتوقيعات، و(المحاورات والردود)، والقصص، والحكم، والأمثال، وهي تقسيمات ترد في الدراسات الأدبية، مع وجود تباين أحيانًا لاعتبارات يراها بعض الباحثين في حين لا يلتفت إليها آخرون.

وهذا مَرَدُّه إلى تداخل بعض الفنون النثرية في بعض، من حيث تشابه بنائها وتقارب سماتها، لكن الدراسة حاولت التنبيه على ما بينها من فوارق وإن كانت ضئيلة، فالوصية –مثلًا– في مضمونها موعظة، فهي حكمة من الحكم، لكنها تفارق الحكمة في جوانب ذكرتها الدراسة في موضعها، وكذلك الحكمة قد تتحوّل إلى مثل من الأمثال إن كُتِبَ لها شيوعٌ كشيوع المثل.

أمَّا فنون النثر العُماني في الحقبة الممتدة من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي فهذا أوان الحديث عنها:

---

(١) تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، ص٣٩٨.

أولًا: الخُطَب :

فنّ الخطابة من أبرز فنون النثر القديم عند العرب، وكان للخطابة في الجاهلية شأنٌ نافست فيه الشعر فقد كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب؛ إلى أن "كَثُرَ الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"(١) على حدّ قول أبي عمرو بن العلاء.

أمّا من حيث موضوعات الخطابة فلم تكن في العصر الجاهلي ذات موضوع محدد، أمّا في عصر صدر الإسلام فأصبحت ذات موضوع، تلمُّ بأطرافه وتفاصيله، فنهضت الخطابة ونهض معها النثر نهضة واسعة، فأخذ الخطباء يوسِّعون طاقته بما يحمِّلونه من معاني الإسلام، وما يبسطون في هذه المعاني ويولِّدون ويفرِّعون.(٢)

ولعل أبرز عاملين أثّرا في الخطابة في هذا العصر هما عقيدة الإسلام وبلاغة القرآن، فالمسلمون حملوا على عاتقهم إبلاغ دين الله يقدمهم في ذلك النبي ﷺ في خطبه البليغة، وكذا خلفاؤه الراشدون، ثم القرآن الكريم في بلاغة أسلوبه وسموّ معانيه فكل ذلك كان له أثر في إذكاء الخطابة الإسلامية.(٣)

أمّا في العصر الأموي فيرى الدكتور شوقي ضيف أنّ الخطابة "ارتقت فيه رقيًّا بعيدًا، ونشطت نشاطًا لعل العرب لم يعرفوه في عصر من عصورهم؛ إذ اتخذوها أداتهم للظفر في آرائهم السياسية والانتصار في

---

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٢٤١./ ج٤، ص٨٣.

(٢) تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، ص١١٤.

(٣) انظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ص٣٣٨.

مجادلاتهم المذهبية، وعوّلوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادتهم على الخلفاء والولاة، ومن ثمّ أينعت فيها فروع ثلاثة، هي الخطابة السياسية وخطابة المحافل والخطابة الدينية".(١)

وإذا ما انتقل بنا الحديث عن الخطابة في عُمان نجد الجاحظ في بيانه يُفاجئنا بخبر جعل عُمان مركزًا لخطباء العرب، وذلك في خبر عبد القيس في قوله: "وشأن عبد القيس عَجَبٌ، وذلك أنهم بَعْد محاربة إيادٍ تفرَّقُوا فرقتين: ففرقةٌ وقعت بعُمَان وشقّ عُمَان، وهم خطباء العرب، وفرقةٌ وقعت إلى البحرين وشقّ البحرين، وهم من أشعر قبيل في العرب، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرَّة البادية وفي مَعْدِن الفصاحة، وهذا عَجَبٌ"(٢)، ثم ذكر من خطبائهم المشهورين: آل صوحان، وهم: صعصعة بن صوحان(٥٦هـ)، وزيد بن صوحان، وسيحان بن صوحان، وصحار بن عياش، وآل الرقبة: مصقلة بن رقبة، ورقبة بن مصقلة، وكرب بن رقبة.

وفي سياق حديث أبي المنذر العوتبي عن فصاحة أهل عُمان وخطبائهم يقول: "قال عمرو بن بحر: لربما سمعت من لا علم له يقول: ومن أين لأهل عمان البيان؟ وهل يعدُّون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان؟! منهم: مصقلة بن رقبة..."(٣)، ويستمرّ في ذِكْر خطباء عمانيين، وهذا القول نسبه العوتبي إلى الجاحظ عمرو بن بَحْر ولم أقع عليه فيما بين أيدينا من كتبه، والمظنون به غالبًا أن يكون في (البيان والتبيين)، لكن لم يرد فيه.

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٦٧.

(٢) البيان والتبيين، ج١، ص٩٦-٩٧.

(٣) الإبانة في اللغة العربية، ج١، ص٣٤.

وعن أنساب عبد القيس ومكان سُكناهم بجزيرة العرب يتحدَّث ابن قتيبة عن شُعرائهم وخُطبائهم وصلتهم بعُمان، فيقول عن أبناء مُنبِّه بن نُكْرة بن لُكيْز بن أَفْصى بن عبدالقيس: "فأما نُكرة، فهم: خلفاء جذيمة، ومنهم: منبّه بن نكرة، وهم أهل البحرين، وفيهم العدد والشرف، منهم: المثقّب العبديّ الشاعر، والممزّق الشاعر، والمفضل بن عامر الشاعر، صاحب القصيدة المنصفة، وبعُمان قوم من نكرة، وباليمن قوم منهم"(١).

وعن أبناء الدِّيل بن عَمْرو بن وَدِيعة بن لُكيْز بن أَفْصى بن عبد القيس يقول: "فمن ولد الدِّيل: أهل عُمان، منهم: بنو صوحان، ومصقلة بن رقبة، الخَطِيب" ثم يقول: "وأما العَوَق، فهم العَوَقة، وهم عمانيون قليل، وأما أَنْمار، فمنهم: عَصَر، رَهْط: الأَشَجّ العبديّ، ومنهم: ظَفر، رَهْط: صُحار العبديّ"(٢)، وصُحار العبديّ هذا هو صُحار بن عيّاش السابق ذِكْرُه، فهذه النُّقُول التي يرويها الجاحظ وابن قتيبة تؤكِّد مكانة الخطابة بعُمان من خطباء عبد القيس العمانيين، وخطباء أزد عُمان ممن سيرد ذِكْرهم لاحقًا.

ويورد العوتبي خطبة لمالك بن فهم استنهض فيها قومه لقتال الفرس في يوم سلّوت، جاء فيها: "يا معشر الأزد، أهل النجدة والحِفَاظ، حاموا عن أحسابكم، وذُبُّوا على مآثر آبائكم، وقاتلوا وناصحوا ملككم وسلطانكم، فإنكم إن انكسرتم وهُزِمتم، اتّبعكم العَجَم في كافة جنودهم، فاختطفوكم، واصطلموكم بين كل حجر ومدر، وباد عنكم ملككم، وزال عنكم عزكم وسلطانكم، فوطّنوا أنفسكم على الحرب، وعليكم بالصبر والحفاظ فإنّ هذا

(١) المعارف، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩٤.

اليوم له ما بعده"، فجعل يحرضهم ويأمرهم بالصبر والجَلَد، ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة، حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره"(١).

ومالكٌ في خطبته يُذكي في قومه الحميّة العربية مذكِّرًا إياهم بالأحساب والمآثر، ويحثهم على الذَّود عن أرض العروبة، ثم يحذّرهم من عاقبة المآل إنْ مُنُوا بالهزيمة، ولخطورة هذا الأمر يطيل في فكرته بجمل مترادفة ذات معنى واحد: "فإنكم إن انكسرتم وهُزِمتم: اتّبعكم العَجَم... فاختطفوكم، واصطلموكم،... وباد عنكم...، وزال عنكم..."، ويختمها بحثّهم على الصبر.

وهذا النمط من الخطب في استنهاض القبيلة للقتال في العصر الجاهلي معهود عند العرب، كخطبة هانئ بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار يحرض قومه على حرب الفُرْس(٢).

وبعد أنْ أشرق نور الإسلام بعُمان تتابعت الوفود العُمانيّة على المدينة المنورة في العهد النبوي ثم في عهد الخلافة الراشدة، كوفد طيّ، ووفد بني طاحية، ووفد بني الحُدَّان، ووفد بني ثمالة، ووفد حمامي بن جرو الفراهيدي، وغيرهم(٣).

ومما يمثّل في هذا الجانب خطابة الوفود العُمانيّة خبر وَفْد أهل عُمان على أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ فبعد أن بلغ عمرَو بنَ العاص – وهو بعُمان– خبرُ وفاته ﷺ ، خرج إلى المدينة المنورة، ومعه من أهل عُمان أبو صُفْرة والد المهلب، وجيفر بن جعفر، وعبد بن الجلندى في سبعين

(١) الأنساب، ج٢، ص٦٨٢.

(٢) انظر: الأمالي، ج١، ص١٦٩.

(٣) انظر في ذلك: الصحابة العمانيون، ص٢١ وما بعدها.

فارسًا من وجوه أهل عُمان، فلمّا وفدوا على أبي بَكْر الصديق "أخذوا بضِبْع(١) عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَقَالُوا: "يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا أَمِيرُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الَّذِي وَجَّهَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ لَهُ شَاكِرُونَ، وَهَذِهِ أَمَانَةٌ قَدْ كَانَتْ فِي أَعْنَاقِنَا، وَوَدِيعَةٌ كَانَتْ عِنْدَنَا، وَقَدْ تَبَرَّأْنَا مِنْهَا إِلَيْكُمْ، وَالسَّلام"(٢)، وهي خطبة موجزة، عبّرتْ عن مغزى وفادتهم، وهو إلقاء أمر عُمان بعد وفاته ﷺ إلى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله، وهذا في مضمونه تأكيد منهم على وفائهم للدعوة المحمدية، وانضوائهم تحت لواء أبي بكر الصديق.

وبعد مقتل عثمان بن عفان يخرج المطالبون بدمه من المدينة المنورة إلى مربد البصرة لجَمْع أنصارهم وتقوية شوكتهم فيقوم الخطباء هناك كلٌّ يعبّر عمّا يعتمل في نفسه(٣)، ومن بين أولئك الخطباء زيد بن صوحان وأخوه سيحان، اللذينِ كانا في حزب الإمام عليّ، فقد ألقى كلٌّ منهما خطبة أنكر على أصحاب الجمل ما يَنْوُون فِعْله(٤)، والخطبتان قصيرتان بأسلوب مسترسل.

وفي خضم الفتنة الواقعة بين الإمام علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– ومعاوية بن أبي سفيان، تمدُّنا المصادر بخطب لأبي صَبْرة شيمان الحُدَّاني وولده صَبْرة، وهم من بني الحُدَّان بن شمس بن عمرو، وكان صَبْرة

(١) الضِّبْع: الكنف والناحية.

(٢) الرّدة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، ص٥٦–٥٧.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٦٤.

(٤) انظر: جمهرة خطب العرب، ج١، ص١٣٢–١٣٣.

أحد قادة أزد عُمان في عهد عمر بن الخطاب في قتال شهرك قائد يزدجرد ملك فارس(١).

وخُطَب شيمان الحُدَّاني وولده صَبْرة يمكن تصنيفها على أنها من الخطب السياسية؛ لأنها تمثّل انحيازهم في صفّ الإمام عليّ ضد معاوية بن أبي سفيان(٢)، فبعد أن استخلف عبدالله بن العباس –رضي الله عنهما– زيادَ بنَ أبيه على البصرة فزع زيادٌ بعد أنْ رأى إقبال الناس على عبدالله بن عامر الحضرمي الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان، فنزل في البصرة في بني تميم، حينها استجار زيادٌ بالأزد فأجاروه، فكان مما قاله صَبْرة بن شيمان لقومه: "يا معشر الأزد: إنا قلنا يوم الجمل نمنع مِصْرنا، ونطيع أُمَّنا، ونطلب دم خليفتنا المظلوم، فجددنا في القتال، وأقمنا بعد انهزام الناس، حتى قتل منا من لا خير فينا بعده، وهذا زياد جاركم اليوم، والجار مضمون، ولسنا نخاف من علي ما نخاف من معاوية، فهبوا لنا أنفسكم، وامنعوا جاركم، أو فأبلغوه مأمنه"، فقالت الأزد: إنما نحن لكم تبع فأجيروه"(٣).

وعن الخطابة في آل الرقبة في العصر الإسلامي يكشف لنا الجاحظ كذلك بأنَّ "العرب تذكر من خطب العرب (العجوز)، وهي خطبة لآل رقبة، ومتى تكلموا فلا بُدَّ لهم منها أو من بعضها"(٤).

---

(١) انظر: الأنساب، ج٢، ص٧٥٦-٧٥٧

(٢) انظر: جمهرة خطب العرب، ج١، ص (٢٤٧-٢٤٨)، (٢٥١-٢٥٢)

(٣) المرجع السابق، ج١، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٤) البيان والتبيين، ج١، ص٣٤٨.

وابن قتيبة نَسَبَ خطبة العجوز إلى كُرز بن مَصْقَلة بن رَقَبة، يقول في ذلك مُتحدِّثًا عن الخطابة في آل رَقَبة: "مَصْقَلة بن رَقَبة هو من عَبْد القَيْس، وأمّه جُرمقانية، وكان من أَخْطَب الناس زمن الحجَّاج وبَعْده، فوَلَدَ مَصْقَلة: كُرز بن مَصْقَلة، ورَقَبة بن مَصْقَلة، وكانا خطيبين، وكان لكُرز خطبة يُقال لها: العجوز"(١)، وعلى ذلك تكون خطبة (العجوز) في الإسلام.

أمَّا العوتبي في (الإبانة) فقد نَصَّ على أنَّها في الجاهلية، ونَسَبها إلى مَصْقَلة بن رَقَبة وابنه كَرِب، وزَادَ اسم خطبة أخرى لهما إذ يقول: "ولهما خطبتا العَجُوز في الجاهلية، والعَذْراء في الإسلام"(٢)، لكنَّ مَصْقَلة بن رَقَبة "كان من أَخْطَب الناس زمن الحجَّاج وبَعْده" كما يقول ابن قتيبة، وهذا ما يتَّفق زمنًا مع كتب تراجم رجال الحديث؛ إذ تَعُدُّ رَقَبة بن مصقلة العَبْدي من التابعين، وتَذْكُر أنَّه كان مُفَوَّهًا(٣)، فعلى هذا تكون هذه الخطبة في الإسلام.

ومن الدلائل على أنَّ هذه الخطبة لم تقع في الجاهلية أنَّ كُتُب الأنساب لا تَذْكُر في نسب آل رقبة شخصًا يُسمَّى مَصْقَلة بن رَقَبة أو كَرِب بن رقبة يمتدّ عهده إلى الجاهلية، حتى يُظنَّ أنَّه صاحب خطبة العجوز؛ فقد ورد في نسب (مصقلة بن كرب): "ومنهم: مصقلة بن كرب بن رقبة بن خَوْتَعة بن عبدالله بن صبرة بن الحِدْرِجان بن عِسَاس بن ليث، كان سيِّدًا، وابناه كرب

(١) المعارف، ص٤٠٣.

(٢) الإبانة في اللغة العربية، ج١، ص٣٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٥٦.

بن مصقلة، ورقبة بن مصقلة خطيبان، وعمُّه عبدالله بن رقبة قُتِلَ يوم الجمل مع عليّ رضي الله عنه"(١).

أمَّا خطبة العذراء فقد نَسَبَها الجاحظُ إلى قَيْس بن خارجة؛ إذ يقول في حديثه عن خُطَب العرب: "والعرب تذكر من خطب العرب "العجوز"، وهي خطبة لآل رقبة، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها، و "العذراء" وهي خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أبا عذرها، و "الشوهاء" وهي خطبة سحبان وائل، وقيل لها ذلك من حسنها"(٢).

ومهما يكن من أمر فالخطابة في آل رقبة تؤكِّدها المصادر، فقد تعاقبت الخطابة في ذريَّتهم، ففضلًا عن الخطباء السابق ذِكْرهم يقول ابن دريد عند حديث عن قبيلة عبدالقيس: "ومن رجالهم: مَصْقَلة بن كَرِب بن رَقَبة بن خَوتَعة، وهو الخَطيب"(٣)، وهذا يدلّ على امتداد الخطابة في ذريّة آل رقبة، ويصف العوتبي الخطيب مصقلة بن رقبة بقوله: "أخطب الناس قائمًا وجالسًا ومنافسًا ومجيبًا ومبتدئًا"(٤).

وفي المهجر الأموي تبرز طائفة من الخطباء العُمانيين في بلاط خلفاء بني أمية، مما سبقت الإشارة إليهم، ومنهم صحار بن عيّاش، وكذلك خطباء آل صوحان(٥)، ومن الحُدَّان أيضا صَبْرة بن شيمان السابق ذِكْرُه.

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٧./ وانظر أيضًا: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص١٠٧.

(٢) البيان والتبيين، ج١، ص٣٤٨.

(٣) الاشتقاق، ص٣٢٨.

(٤) الإبانة في اللغة العربية، ج١، ص٣٤.

(٥) انظر: البيان والتبيين، ج١، ص٩٦-٩٨.

ومن خطباء المهالبة في المهجر الأموي المهلبُ بنُ أبي صفرة، وأبناؤه كيزيد، ومروان(١)، وقبيصة(٢)، ومن أبناء أخيه بِشْر بن المغيرة بن أبي صفرة(٣)، وثمة خطباء عمانيون كانوا في بلاط المهالبة، وكانوا وفودَ المهلب إلى أمراء الدولة الأموية، يقول الجاحظ: "ومنهم (أي: من خطباء قحطان) من خطباء عُمان: مُرَّة بن فَهْم التَّلِيد، وهو الخطيب الذي أوفده المهلب إلى الحجاج"(٤)، وله يقول أعشى هَمْدان(٥):

مُرّ يَا مُرَّ مُرَّةَ بنَ تليدٍ .. ما وجَدْناكَ حين تُسأل مُرَّا

وورد في اشتقاق ابن دريد باسم (مُرَّة بن تَلِيد) وعدَّه من المُجْد من بطون اليَحْمَد(٦)، يصفه أبو المنذر العوتبي بقوله: "لم يكن في الأرض أَجْود منه ارتجالًا وبديهًا، ولا أعجب فِكْرًا وتَحْبِيرًا منه"(٧).

ومن الخطباء العمانيين أيضًا كعب بن معدان الأشقري، كان صاحب مُرَّة بن فَهْم التَّلِيد السابق ذِكْرُه في وفادتهما على الحجاج من قِبَل المهلب، يقول العوتبي عنه في سياق الحديث عن قبيلته: "منهم كعب بن معدان الأشقري الخطيب البليغ الشاعر، وأكثر شعره في المهلب وولده؛ لأنه كان معه في حروبه كلها، وهو رسوله بالفتح إلى الحجاج".(٨)

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج٦، ص٥٩٤.

(٢) انظر: البيان والتبيين، ج٢، ص٢٤٩.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨.

(٤) البيان والتبيين، ج٢، ص٣٥٨.

(٥) الاشتقاق، ص٥٠٦.

(٦) المرجع السابق، ص٥٠٦.

(٧) الإبانة في اللغة العربية، ج١، ص٣٥.

(٨) الأنساب، ج٢، ص٧٤١.

ومن خطباء أزد العتيك أيضًا زياد بن عَمرو العتكي(١) كان رأس الأزد بعد مقتل مسعود بن عمرو العتكي الأزدي(٢).

ومن الخطباء العمانيين الذين برزوا في أواخر العصر الأموي أبو حمزة الشاري المختار بن عوف السُّلَيْمِي المِجَزَي الصُّحاري.

والخطابة العمانية في المهجر الأموي حافلة بموضوعاتها ففيها خطب الوفود والخطب السياسية والخطب الدينية.

فمما يمكن أن يُمثِّل خطب الوفود خطبة صَبْرة بن شيمان الحُدَّاني أمام معاوية بن أبي سفيان، يقول أبو العبّاس المبرّد: "حدثت أن صبرة بن شيمان الحداني دخل على معاوية، والوفود عنده، فتكلموا فأكثروا، فقام صبرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنا حي فعالٍ، ولسنا بحي مقالٍ، ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم"(٣)، وهي خطبة تُعدّ من خطب المفاخرة بين القبائل فقد صدَّر الجاحظ هذا الخبر بقوله: "ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت في الخطب كل مذهب، قام صبرة بن شيمان، فقال:..."(٤)

وجاءت رواية أخرى عند أبي علي القالي بأن الخطبة لأزدي في حضرة عبدالملك بن مروان، وقد قال فيها: "قد علمت العرب أنا حيّ فِعَال، ولسنا

---

(١) الكامل، ج١، ص١٠١./ وانظر أيضا: الاشتقاق، ص٤٨٣./ الأنساب، ج٢، ص٧٤٨.

(٢) من رجال العتيك، وهو "مسعود بن عمرو بن عديّ بن مُحارب بن صُنَيم بن مُلَيح بن شرطانَ بن مَعْن بن مالك بن فَهم، الذي يقال له قَمَر العراق، قتلته بنو تميم، كان سيّدَ الأزْد، وهو الذي أجارَ عُبيد الله بن زياد أيّامَ الفتنة، أخو المهَّلب بن أبي صُفْرة لأمّه" (الاشتقاق، ص٥٠٢)

(٣) الكامل، ج١، ص٧٢.

(٤) البيان والتبيين، ج١، ص٣٠٠.

بحيّ مقَالَ: وأنا نجزي بفعلنا عند أحسن قولهم، إنّ السيوف لتعرف أكفّنا، وإن الموت ليستعذب أرواحنا، وقد علمت الحرب الزبون أنا نقرع حماها، ونحلب صراها"(١)، ولمَّا كانت الخطبة مفخرة قبليّة لم يفت صَبْرة –وهو لسان قومه– أنْ يبدع في صياغتها؛ فتناغم فيها جَرْس السجع مع براعة التصوير في مواطن القتال، والسَّجْع تقنية فنيّة في النصّ، وهو في النثر كالقافية في الشِّعْر(٢)، من حيث جَرْس إيقاعه.

وكان صعصعة بن صوحان في صفّ الإمام عليّ، فكانت خطبه لمعاوية ذات براعة فنية مدعّمة بحجج منطقية تسقط حقّ معاوية في الخلافة، وكان صعصعة مقدامًا لا يهاب من الإفصاح عن مبادئه بأبلغ أسلوب(٣)، فكان مما قاله لمعاوية: "... أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، ودانهم كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا؟ أما واللهِ ما لَكَ في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: "لا حُلِّي ولا سِيرى"(٤)، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول

(١) الأمالي، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) انظر: مفتاح العلوم، ص٥٤٢.

(٣) انظر: جمهرة خطب العرب، ج٢، ص١٣٦، ٣٥٠، ٣٥٢.

(٤) مَثَلٌ يُضرب لمن ليس عنده غَنَاء، و(حُلِّي) فِعْل أمر اتصلت به ياء المؤنثة المخاطبة، من الفعل حَلَّ بالمكان يحُلُّ، إذا نزل به، وكذا (سِيري) فِعْل أمر اتصلت به ياء المؤنثة المخاطبة، من الفعل سار يسير، يقول ابن سيده: "ويُقَال للرجل إذا لم يكن عِنْده غناء: لا حُلِّي ولا سِيرى، كأنّ هذا إنَّمَا قيل أول وهلة لمؤنث فخوطب بعلامة التانيث، ثمَّ قيل ذَلِك للمذكر والاثنين والثنتين وَالْجَمَاعَة محكيا بِلَفْظ الْمُؤَنَّث" (المحكم والمحيط الأعظم، مادة: حلل).

الله ﷺ وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ، فأنى تصلح الخلافة لطليق؟".(١)

أمّا خطب المهلب وابنه يزيد فكثيرا ما تكون خطبًا عسكرية تستنهض الجيش لملاقاة العدوّ، ويغلب على أسلوب المهلب في خطبه الاسترسال، ويعمد أحيانا إلى الاقتباس من القرآن الكريم ليدعّم فكرته(٢).

ومن خطبه البديعة التي تعكس تكثيفًا دلاليا لفكرة الخطبة أنّه: "لما اسْتَخلف ابْنَهُ الْمُغيرَةَ على حَرْب الْخَوَارِج، وَعَاد هُو إِلَى مُصْعب بن الزبير جمعَ الناسَ فَقَالَ لَهُم: إِنّي قد استخلفتُ عَلَيْكُم الْمُغيرَة، وهُو أَبُو صغيركم رقةً وَرَحْمَة، وابنُ كبيركم طَاعَة وَبرا وتبجيلا، وأخُو مثله مواساة ومناصحة، فَلْتَحْسُن لَهُ طاعتُكم، ولْيَلِنْ لَهُ جانبُكم، فوَ اللَّه مَا أردتُ صَوَابا قطُّ إِلا سَبقني إِلَيْهِ"(٣).

والمهلب في خطبه للناس يعمد إلى أساليب يستميل بها القلوب، ويجذب بها النفوس، سياسة منه وحنكة، وبراعة في صياغة خطبه، فتتابع المعطوفات في الخطبة الآنفة في قوله: "أَبُو صغيركم...، وابنُ كبيركم، وأخُو مثله..." جعلت الخطبة تتخلل قلوب الحاضرين جميعا، كُلٌّ بما يستحق أن يعامل به من محاسن الأخلاق.

أما أسلوب ابنه يزيد فيميل إلى التصوير الفنّي المتتابع على إيقاع السجع، كقوله في خطبة له بواسط: "يَا أهل الْعرَاق، يَا أصحَاب السَّبق والسِّباق، وَمَكَارِم الْأَخْلَاق، إِن أهل الشَّام فِي أفوَاههم لقمةٌ دَسِمَةٌ، زَبَّبَتْ لَهَا

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٣٦.
(٢) انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٤٢٩-٤٣١.
(٣) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦.

الأشداق(١)، وقامُوا لَهَا على سَاق، وهم غير تاركيها لكم بالمراءِ والجدال، فالبسوا لَهُم جُلودَ النمر"(٢)، فيزيد بن المهلب اتَّكَأَ على التصوير الكنائي في خطبته، فبدأ بتصوير حال أهل الشّام في طمعهم وشدّة أمرهم؛ لِيَلِجَ منه إلى ما ينبغي أن يكون عليه أهل العراق، بتصوير كنائي يشفّ عن حثهم للاستعداد للمواجهة .

ويزيد بن المهلب بهذه الخطبة أيضًا ينقض خطبةَ الحجاج بن يوسف التي استفتحها الحجاجُ بقوله: "يَا أَهْلَ العِرَاقِ، يَا أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِئِ الأَخْلَاقِ، إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا فِي الأَسْوَاقِ..."(٣) مع اختلاف المضمون في الخطبتين فتلك كانت قدحًا في أهل العراق، حين جعلهم الحجاج: "أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ" وهذه مدح فيهم، حين جعلهم يزيد "أصحَاب السَّبق والسِّباق، وَمَكَارِم الْأَخْلَاق" وكأنه بهذا الأسلوب يضع أهل العراق بين صورتين متناقضتين، مُعَرِّضًا بالدولة الأموية في أبرز أمرائها على العراق، طمعًا في استمالة أهل العراق إليه.

ومن بديع خطبه في أهل واسط أيضًا قوله: "...إِنَّمَا أقبل إِلَيْكُم الفلاحُون والأوباشُ كأشْلاء اللُّجُم(٤)، وَالله مَا لقوا قومًا قطّ كحدّكم وحَديدكم، وعدّكم وعَدِيدكم، وأعيُروني سَواعدكم سَاعَة من نَهَار تصِفقُون بهَا

(١) "زَبَّبَتْ لَهَا الأشداق" بعض المصادر تنقلها "زيَّنت لها الأشداق" ونحو ذلك، ولعله تصحيف من "زَبَّبَتْ"، "زَبَّبَتْ لَهَا الأشداق" أي: اجتمع الريق في جوانبها.

(٢) البيان والتبيين، ج١، ص٣٢١./ وانظر: نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٨./ الأنساب، ج٢، ص٦٢٣.

(٣) البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٤٨.

(٤) اللجم: جمع لجام، وأشلاء اللجم: حدائده بلا سيور.

خراطيمَهُم، وَإِنَّمَا هِيَ غَدوة أَو روحةٌ حَتَّى يحكُمَ الله بَيْنَنَا وَبَين القَوْم الظَّالِمين"(١)، فقد أحدث ما يشبه الترصيع الشعريّ في قوله: (حدّكم وحَديدكم، وعدّكم وعَدِيدكم) جَرْسًا إيقاعيًّا شديدًا، وسط تصوير فنّي يعكس ضعف خصومهم الذين ما هم إلا أشلاء لجم، يسهل أن تُصفق (خراطيمهم).

وهذه المحسنات اللفظية في النصّ كالسجع ونحوه إنَّما هي لون "وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو ليس في الحقيقة إلا تفنُّنًا في طريق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقى، وحتى يسترعي الآذان بألفاظه، كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه، فهو مهارة في نظم الكلمات، وبراعة في ترتيبها وتنسيقها، ومها اختلفت أصنافه وتعددت طرقه يجمعها جميعًا أمر واحد: وهو العناية بحُسْن الجَرْس ووَقْع الألفاظ في الأَسْماع"(٢).

وقد تخرج خُطَب المهالبة عن النمط العسكري الخالص وسط المعارك إلى نمط اجتماعي، مثل ما نجده عند بِشْر بن المغيرة بن أبي صفرة ابن أخي المهلب، في مقولة أشبه بخطبة قالها لبني المهلّب، جاء فيها: "يا بني عمي، إني والله قد قصرتُ عن شَكاة العاتب، وجاوزت شكاة المستعتب، حتى كأني لست موصولًا ولا محرومًا، فعُدُّوني امرأً خِفْتُم لسانه، أو رجوتم شُكْره، وإني وإن قلتُ هذا فلِمَا أبلاني الله بكم أعظم مما أبلاكم بي"(٣)

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٢٩٣./ وانظر أيضا: نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٣.

(٢) موسيقى الشعر، ص٤٥.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨.

وفي أواخر دولة بني أميّة يظهر على ساحة الخطابة أبو حمزة المختار بن عوف السليمي (١٣٠هـ) السابق ذِكْره، وقد كان قائد جيش الإمام عبدالله بن يحيى الكندي من اليمن إلى الحجاز، فكانت خطبه مناوئة للتيار الأموي، تمتزج فيها السياسة بالدين، فهي خطب دينية سياسية.

فهو لغيرته على دين الله تحفل خطبته "بالصراحة والجرأة والاستماتة في سبيل الغاية المنشودة"(١)، فـ"تنطلق أفكاره انطلاقًا حافلا بالعاطفة الحيّة النابضة، وهو صادق في عاطفته إلى أقصى حدود الصدق، يصدر كلامه عن عقيدة صحيحة، وإيمان راسخ"(٢):

"تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أَشَرًا، ولا بَطَرًا، ولا عبثًا، ولا لهوًا، ولا لدولةِ مُلْكٍ نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قديم نِيْلَ مِنَّا؛ ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد أطفئت، ومعالم العدل قد عطلت، وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله"(٣)

وهو في وصفه لأصحابه "يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها، وقوة العقيدة ومتانتها"(٤)، "شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا، بأنفس لا تموت أبدًا، قد نظر الله

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص٣٦٩.
(٢) المرجع السابق، ص٣٦٩.
(٣) جمهرة خطب العرب، ج٢، ص٤٥٨.
(٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٨٦.

إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها، وإذا مَرَّ بآية من ذِكْر النار شهق شهقة، كأنَّ زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم، من طول القيام، وكثرة الصيام"(١) فهذا الوصف يمتاز "برهبة وخشوع في التصوير، وحرارة وتدفق في العواطف، وجزالة وفحولة في التراكيب، ونصوع وتأنق في الأسلوب"(٢).

ثانياً: الرسائل :

على الرغم من نمط البداوة العربية في العصر الجاهلي عَرَفَ الجاهليون الرسائل وتمرّسوا بإرسالها، وإن كانت في هذا العصر اعتمدت على التراسل بالألسنة لا بالأقلام(٣)، أما التراسل بالأقلام فلا تشير إليه المصادر إلا نادرًا، ككتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين يأمره بقَتْل طَرَفة بن العبد وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمِّس، وكتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى يفاخره بفضل العرب(٤).

ثم جاء العهد النبوي فعهد الخلافة الراشدة فشاعت الرسائل المكتوبة، وخيرُ مثال على ذلك رسائل النبي –ﷺ– إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، ومنها رسالته –ﷺ– إلى عَبْد وجَيْفَر ابني الجُلَنْدى ملكَيْ عُمان يدعوهما إلى الإسلام، فأجابا دعوته الشريفة، ودخل أهل عُمان في الإسلام طواعية.

---

(١) جمهرة خطب العرب، ج٢، ص٤٥٦.

(٢) النثر في العصر الأموي، ص١٢٨.

(٣) جمهرة رسائل العرب، ج١، ص٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٠ وما بعدها.

أما في العصر الأموي فمع محافظته على أسلوب الرسائل في العهد السابق وهو أن يتوفّر الكاتبُ على "أداء المعنى في إيجاز واقتضاب"(١) دون الالتفات إلى التنميق في الصياغة أخذت الرسائل الرسمية منحىً جديدًا، فـ"جاوزت مرحلة التعبير عن الغرض إلى مرحلة التأنّق في الصياغة"(٢).

وكان لكُتَّاب الدواوين في هذا العصر دور في "الارتقاء بفنّ الترسّل تجلّى هذا الارتقاء بملامح وَسَمَت الكتابةَ الديوانيةَ، وأبرزُها: رصانةُ اللغةِ، وتخيُّر المفردات، والازدواج، والتصوير البياني، والأناقة في الصياغة، والإطالة في عرض الأفكار، وترادف الجمل المتعدة على المعنى الواحد، والاقتباس من القرآن الكريم"(٣).

وأمّا الرسائل في الأدب العُماني فالعوتبي في أنسابه يذكر تراسلًا وقع بين مالك بن فهم والفرس في خبر يوم سلوت، وقد يكون هذا تراسلًا شفويًّا بينهم، ثم كُتِبَ، وهو الحال الذي كان في جزيرة العرب من اعتمادهم كثيرًا على التراسل الشفوي، ولعل إشارة ذلك نجده في خبر إسلام أهل عمان، فالرسالة التي بعث بها النبي –ﷺ– إلى عبد وجيفر ابني الجُلَنْدى، لا تسعفنا المصادر عنها بردٍّ مكتوب منهما للنبي ﷺ، وكذا في بَعْثهما لوُجُوه العشائر، ومَهْرة والشَّحْر ونواحيها يدعوانِهم إلى الإسلام(٤)، فلعلَّ التراسل الشفوي

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص٣٧٤.
(٢) النثر في العصر الأموي، ص١٦٥.
(٣) المرجع السابق، ص١٦٦.
(٤) الأنساب، ج٢، ص٧٢١-٧٢٢.

بينهم كان معتمَدًا عندهم، وإن كان هذا لا ينفي وجود مراسلات مكتوبة لأهل عُمان في العصر الجاهلي وبعده.

وأمّا إشارة مالك بن فهم في قصيدته التي مطلعها(١):

ألا من مبلغ أبناء فهم .. بمألُكة من الرجل العماني

على أنّ (مألكة) بمعنى (رسالة) فهي ليست فيما نحن بصدده؛ لأنها رسالة شعرية وجّهها إلى أبناء عمومته من أبناء فَهْم يكشف لهم فيها عن رحلته إلى عُمان، وانتصاراته التي حقّقها، فهي رسالة تناقلتها الألسن لا الأقلام، كما هو معهود في ذلك العصر.

أمّا في العصر الراشدي والعصر الأموي فالمصادر تمدّنا برسائل لأعلام عمانيّين، يغلب عليها أنها كانت في المهجر الراشدي والأموي، حيث الأحداث السياسية على أشدّها.

ففي سياق فتنة يوم الجَمَل ثمَّة رسائل كتبها زيد بن صوحان وكعب بن سور الأزدي قاضي عمر بن الخطاب على البصرة، ردًّا فيها على رسائل وردتهما من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تحثّهما على الالتحاق بالحزب المناوئ للإمام عليّ بن أبي طالب كَرَّمَ الله وجهه.

وكعب بن سور أيضًا أرسل إلى طلحة والزبير ردًّا على رسالتهما الواردة إليه وهو يريد اعتزال هذه الفتنة بقوله: "أما بَعْد فإنَّا غَضِبْنا لعثمان مِنَ الأَذَى والغِيَر باللسان، فجاء أمر الغِيَر فيه بالسَّيف، فإن يَكُ عثمان قُتِلَ ظالمًا فما لكما وله؟! وإن كان قُتِلَ مظلومًا فغَيْرُكما أَوْلَى به، وإن كان أَمْرُه أَشْكَلَ على مَنْ شَهِدَه فهو على مَنْ غاب عنه أَشْكَلُ"(٢).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٦٩٥./ شعراء عمان، ص٨٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ج١، ص٥٥.

وجواب كعب بن سور الأزدي مع إيجازه فيه دِقّة في الحِجَاج تنزع من خبرته في القضاء، فجَعَلَ أمر عثمان في صورة قضِيّة، لا يكون عثمان فيها إلا ظالمًا أومظلومًا، وفي كلا الحالين لا صلة له بالأمر، ثم استند إلى بُعْده عن معترك الأحداث التي أَشْكَلت على مَنْ شَهِدَها في المدينة المنوَّرة، فكيف يمكن لبعيد مِثْله وهو في العراق أن يَلُزّ نفسه في هذا الأمر؟!؛ وهو في ذلك يُجنِّب نفسه ليكون بعيدًا عن تلك الفتنة.

وأمّا زيد بن صوحان فقد وردته أيضًا رسالة من أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأجابها برسالة قال فيها: "من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين، سلام عليك؛ أما بعد، فإنكِ أُمِرْتِ بأمر وأُمِرْنا بغيره: أُمرتِ أنْ تَقَرّي في بيتك، وأُمِرْنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة؛ فتركتِ ما أمرت به؛ وكتبتِ تنهيننا عَمَّا أُمِرْنا به، والسلام"(١)، وجاء في رواية الطبري: "مِنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ إِلَى عَائِشَةَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، أَمَّا بَعْدُ: فأنا ابْنُكِ الخَالِصُ إِنِ اعْتَزَلْتِ هذا الأَمْرَ وَرَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ، وَإِلا فأنا أَوَّلُ مَنْ نابذك"(٢).

ويردّ صعصعة بن صوحان على عقيل بن أبي طالب، وكان قد بلغه عنه أنه اتّصل بمعاوية بن أبي سفيان: "فاتَصل كلام عقيل بصعصعة فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم، ذكْرُ الله أكبر، وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة، أما بعد، فقد بلغ مولاك كلامُكَ لعدو الله وعدو رسوله، فحمدْتُ الله على ذلك، وسألته أن يفيء بك إلى الدرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود فإنه عمودٌ مَنْ فارقه الدين الأزهر، ولئن

(١) العقد الفريد، ج٥، ص٦٧.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٧٦.

نزعَتْ بك نفسك إلى معاوية طلبًا لماله إنك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة، فإن الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وَصَلَ إلينا، فأجَلَّ اللهّ أقداركم، وحمى أخطاركم، وكتب آثاركم، فإن أقداركم مرضية، وأخطاركم محمية، وآثاركم بدْرِية، وأنتم سلم الله إلى خلقه، ووسيلته إلى طرقه، أيد علية، ووجوه جلية، وأنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خير أتوه فإنما ... تَوَارَثَه آباء آبائهم قَبْلُ

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتُغْرَسُ إلا في منابتها النخل"(١)

وللإمام جابر بن زيد اليحمدي الأزديّ العُماني (٩٣هـ) رسائل يردّ فيها على مسائل فقهيّة(٢)، وتحوي نُصْحًا وإرشادًا، وبناء تلك الرسائل يبدأ بنحو: "من جابر بن زيد إلى..... سلامٌ عليك، فإنّي أَحْمَد إليك الله...إلخ، ثُمّ بعد التحيّة والخطبة يبدأ الإمام بالإجابة عن الأسئلة الواحد تِلْو الآخر(٣).

فالرسالة بَعْد التحيّة تتكوَّن من خُطْبة وخاتمة، وبينهما أجوبة على مسائل فقهيّة(٤)، ويعنينا هُنا خُطْبة الرسالة وخاتمتها، فالخُطْبَة تتضمن نُصْحًا وإرشادًا من الوصاية بتقوى الله، والإعراض عن الدُّنْيا والإقبال على

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٤٧.

(٢) من معاصري الدولتين الأمويّة والعباسيّة من العُمانيين الإمامُ الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي(تُوفِّي بين ١٧٥-١٨٠)، وشبيبُ بن عطيّة، ويظهر أنَّ ما وصلنا من رسائلهم النثرية كانت في عهد الدولة العباسية.

(٣) رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص٧.

(٤) انظر: حياة عُمان الفكرية، ص١٥٨.

الآخرة، وتتباين هذه الخُطْبة طولًا وقِصرًا، ففي حين كانت خُطْبة رسالته إلى (الحارث بن عمرو) لا تتجاوز فِقْرة من ستة أسطر –بلغت خُطْبة رسالته إلى (ظريف بن خليد) نحو ثلاث صفحات(١)، فكُلَّما طالت الخُطْبة تعمَّق النُّصْح وتنوَّعت موضوعاته، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى أحوال المرسَل إليهم، ومقدار شأنهم في الناس، وأثرهم فيهم.

ويلي الخُطْبةَ فَصْلُ الخِطاب بـ(أمَّا بَعْد) وهي من رُسُوم الخطاب العربي المعهود، يتحدث بعدها عن أحواله بلُغَة المتفاءل بحُسْن الحال، وشُكْر الله على نِعَمه، ويلي ذلك الجواب عن المسائل المُسْتَفْتَى فيها.

أمَّا الخاتمة فآخر ما فيها التحيّة، وكثيرًا ما يكون قبل التحيّة أمرانِ متتاليان، أولهما: تنبيهٌ بما يَدُلّ على سِرّية الرسالة وإخفاء اسم كاتبها، وهذا لا يمكن أن يُفسَّر إلا في سياق الاضطراب السياسيّ حينَها؛ إذ كانت الدولة الأمويّة تُلاحِقُ مناوئيها، والإمامُ جابرٌ بن زيد –حينَها– رأسُ المذهبِ الإباضيّ وإمامُه، وثانيهما: حَضُّ الإمامِ جابرٍ مُراسلَه على مكاتبته(٢)، ومما جاء من ذلك في مراسلاته قوله للحارث بن عمرو: "واعلم أنَّك –أصلحك الله– بأرضٍ أَكْرَهُ أنْ تَذْكُرَ لي فيها اسمًا، فلا تَرْوِ شيئًا مما كتبتُ إليك، واكتُبْ بما كانت لكَ من حاجة، فإنّي أحبّ رضالك وما يسرُّك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"(٣)، وقوله في رسالته إلى عبدالملك بن المُهلَّب: "اُكْتُبْ إليَّ بما كانت لكَ من حاجة في سِرٍّ وثِقَة، فإنَّك قدْ عَلِمْتَ الذي نحن فيه، وما نتخوَّف من الّذي يَطْلُب العِلَل فينا، فلا تعرضْ لذلك

(١) رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص٦٧–٧٠.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص: ١١٦، ٩٩، ٦٦، ٧٢، ٧٦، ٩١، ٩٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٠.

الأمر تهلكْنا به، أصلحك الله، نسأل الله القريب المُجيب أن يُريَكم وإيّانافي أموركم وأمورنا ما تقرّ به أعيننا، ومَنْ نرجو أنْ يكون الله قسم به الدّفاع عنّا، والسلام عليك ورحمة الله"(١).

أمَّا من حيث أسلوب الإمام جابر في هذه المكاتبات فإنَّه ينحو منحى الترسُّل قاصدًا الغرض دون التفات إلى تنميق القَوْل، فلا تجد عناية بسجع أونحو ذلك من المحسنات البديعية إلا ما وقع عَفْوًا، ولا تجد فيها كلامًا من حوشيّ الألفاظ وشارده.

وفي العصر الأموي أيضًا تشير المصادر إلى شخصية (شعيب العماني) كاتب عبدالملك بن مروان على ديوان الخاتم(٢).

وأمّا المهلب بن أبي صفرة وولده يزيد فقد وردت عنهما رسائل رسمّية كثيرة، من أجل ذلك نجد أبا منصور الثعالبي يُخصِّص كتابه (تحفة الوزراء) في رجال الدولة وولاتهم ممن" يُوصف بالبلاغة، والسياسة، وحسن التدبير"، ويعقد فيه فصلًا يُسمِّيه (فصل في الكُفاة) يَعُدَّ منهم المهلب وابنه يزيدًا(٣)، فيصف الذين يستشهد بكلامهم في هذا الفصل بقوله: "والكفاة هم الذين يجمعون بين البلاغة والسياسة، فيحكمون بعدل، وينطقون بفضل، ويحملون الدولة، ويدبّرون المملكة، ويسوسون الرعية، فإن انضاف إلى ذلك أن يكون في بلاغته صاحب خَطّ وفصاحة لَفْظ، وجمال مَنْظَر، وفي سياسته ذا تَحَيُّل، وصحة فكرة، وثبات عزيمة – فقد لَبِسَ ثوبَ الفَضْل بعَلَمَيْه، وأخذ

(١) المرجع نفسه، ص١١٦./ وانظر أيضًا: ص٩٩، وكذا: ص٦٦، ٧٢، ٧٦، ٩١، ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج٦، ص١٨٠.

(٣) تحفة الوزراء، ص٨١.

الحَبْل بطرفَيْه، وصلح لتدبير الدول والممالك، ومن شأن العرب الفصاحة والإسجاع والافتخار بذلك، وتَكَلُّفَه في المجاملة(١)".(٢)

ويؤكِّد عناية المهالبة بالكتابة الرسمية (الديوانية) اتِّخاذ يزيد بن المهلب كَتَبَةً على ديوانه، وكان يعتني بانتقاء كاتبه، يشير إلى ذلك وصيته لِابْنِهِ مخلد حِين ولاه جُرجَان، إذ قال له: "استظرفْ كاتِبَكَ، واسْتَعْقِلْ حاجِبَك"(٣)، فالظرافة في انتقاء الكاتب إنما تُلْمح إلى ذوق في الكتابة وفنّ في الأسلوب.

ومن الكتبة في ديوان يزيد بن المهلب المغيرةُ بن أبي فروة(٤)، كما كتب له أيضًا يحيى بن يعمر اللغوي المشهور، وكان أسلوب يحيى بن يعمر في كتابته يميل إلى الإغراب في اللفظ، حتى أنّه أثار انتباه الحجاج إلى لغته، في رسالة كتبها بلسان يزيد بن المهلب، فجاء في رسالته: "إنّا لقينا العدوَّ فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة بعَراعِر الأودية وأهضام الغِيطان، وبتنا بعُرْعُرة الجبل، وبات العدوُّ بحَضِيضِه(٥)"(٦).

أما الرسائل التي صدرت عن المهلب بن أبي صفرة نفسه وابنه يزيد فكانت مسترسلة لا تعقيد فيها، وكانت رسائل سياسية وعسكرية يتعلق غالبها

---

(١) "وتَكَلُّفَه في المجاملة" بعض النُّسخ تورده هكذا: "وتَكَلُّفَه في المحافل" وهذا أصوب للعبارة وأنسق للمعنى.

(٢) تحفة الوزراء، ص٨١.

(٣) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٥.

(٤) تاريخ الطبري، ج٦، ص١٨١.

(٥) قال الجاحظ في تفسير هذه الألفاظ: "عراعر الأودية: أسافلها. وعراعر الجبال: أعاليها. وأهضام الغيطان: مداخلها. والغيطان: جمع غائط، وهو الحائط ذو الشجر" (البيان والتبيين، ج١، ص٣٧٧)

(٦) البيان والتبيين، ج١، ص٣٧٧.

بشأن الإمارة وحَرْب الأزارقة الخوارج، وأكثر تلك الرسائل كانت موجّهة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي(١)، فقد كان الحجّاج كثيرا ما يستعجلهما في القضاء على الخوارج، كما راسل المهلبُ أيضًا الحارثَ بن عبدالله بن أبي ربيعة القُباع(٢).

فمن رسائل المهلب إلى القُباع قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنا لقينا الأزارقة المارقة بحدّ وجدّ، فكانت في الناس جولة، ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر، بنيات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل، فصاروا دَرِئَة(٣) رماحنا، وضرائب(٤) سيوفنا، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها، والسلام"(٥).

وكتب المهلب للحجاج يُعلمه بنصره على الخوارج قال فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافي بالإسلام فَقْد ما سِوَاه، الذي وصل المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده.

أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكنا ونحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم، على

---

(١) انظـــر: الكامـــل، ج٢، ص ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٢، ٧٠٦، ٧١٠، ٧١٥، ٧١٧./ الحيوان، ٧، ص٧٧./ الأنساب، ج٢، ص٦١٦.

(٢) انظر: الكامل، ج٢، ص٦٦٤، ٦٧٢.

(٣) الدرئة: الحلقة يُتعلَّم فيها الرميُ والطعنُ.

(٤) الضرائب جمع ضريبة، وهي كل ما ضربت بسيفك.

(٥) الكامل، ج٢، ص٦٧٢./ وانظر برواية أخرى: البصائر والذخائر، ج٤، ص١٣٢.

اشتداد شوكتهم، فقد كان عَلَنَ أمرهم حتى ارتاعتْ له الفتاةُ، ونُوِّمَ(١) به الرَّضِيعُ، فانتهزتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوادَ(٢)، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)"(٣).

وهاتان الرسالتان تعكسان أسلوب المهلّب في رسائله، فهي –كما سلف– تخلو من التعقيد اللفظي، ويغلب عليها الاسترسال، وعمد فيهما إلى بعض التصوير الفنّي كقوله في الرسالة الأولى: "فصاروا دَرِئَة رماحنا"، وقوله في الثانية: "فقد كان عَلَنَ أمرهم حتى ارتاعتْ له الفتاةُ، ونُوِّمَ به الرَّضِيعُ"، كما اتكأ في الثانية أيضًا على أسلوب التضمين من القرآن الكريم، وما اتّفق فيهما من سجع القول إنما جاء في موضعه دون تكلّف، كاشفًا عن سجيّة المهلب وفصاحته، ورصانة منطقه، فالغاية في ذلك التعبير عن المعنى.

ويُلحظ في بناء الرسالة الثانية ابتداؤها بالحمدلة، والعناية بفَصْل الخطاب (أمَّا بَعْد)؛ إذ كان هذا من رُسوم الرسائل عندهم.

وهذه الرسالة استشهد بها أبو هلال العسكريّ(٣٩٥هـ) على حُسْن الإطناب في رسائل الفتوحات، فيقول في ذلك: "ولا شكّ فى أنّ الكتب الصادرة عن السلاطين فى الأمور الجسيمة، والفتوح الجليلة، وتفخيم النّعم

---

(١) أي: قُتِلَ وأُمِيْتَ، مأخوذ من: نوّمت الإبل أي ماتت، ونام الرجل أي مات. انظر مادة (نوم) في: (أساس البلاغة)، و(تاج العروس)

(٢) أي: قرَّبت بين الفريقين.

(٣) الكامل، ج٢، ص٧١٠./ ورويت أيضا على أنها ليزيد بن المهلب، انظر: البصائر والذخائر، ج٤، ص١٣٣.

الحادثة، والترغيب فى الطاعة، والنّهي عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة، تملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب؛ ألا ترى أنّ كتاب المهلب إلى الحجاج فى فتح الأزارقة:..." ثُمّ أورد أبو هلال العسكري رسالةَ المهلب وهي برواية مختلفة، ثم عَلَّق بقوله: "وإنما حَسُنَ فى موضعه ومع الغرض الذى كان لكاتبه فيه"(١).

ولم تكن مراسلات المهلب مقصورة على أمراء بني أمية بل كان يوظّفها في حربه للعدوّ، عملًا بمبدأ مشهور عنه في حروبه، هو "المكيدة في الحرب"، فمن طريف رسائله أنّ الأزراقة كان لهم حدّادٌ يُقال له (أبزَى)، وكان يصنع لهم نِصَالًا مسمومة، فيُرمى بها في أصحاب المهلب، فكاد له المهلب بأنّ وَجَّه أحد أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري بن الفجاءة رأس الخوارج، فقال: "ألقِ هذا الكتاب في عسكر قطريّ واحذرْ على نفسك... فمضى الرسول، وكان في الكتاب: "أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم، فاقبضها وزدنا من هذه النصال"(٢)، فوقع الكتاب والدراهم إلى قطري"، فقتل (أبزَى) صانع النّصال.

ومن الرسائل الاجتماعية عند المهالبة أنّ يزيد بن المهلّب سأله "رجلٌ من أصحابه حاجةً وذكر له خلّة، فقال: أوجّه بها إليك، ثمّ حمل إليه خمسين ألف درهم، ثم كتب إليه: "قد وجّهت إليك بخمسين ألف درهم، لم أذكرها تمنّنا، ولم أدع ذكرها تجبّرا، ولم أقطع بها لك رجاء، ولم أُرِدْ بها منك جزاء"(٣).

---

(١) كتاب الصناعتين، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) الكامل، ج٢، ص٧٠٢.

(٣) الحيوان، ج٧، ص٨٨.

ثالثاً: الوصايا :

يمكن تلخيص مفهوم (الوصية) في أدبنا العربي على أنها: "نصيحة يلقيها صاحب الشأن في وقت معيّن، ويرمي بها إلى الحضّ على الخير وتجنّب الشرّ"(١).

وتُعدّ الوصية ضربًا من ضروب الخطابة، إلا أنّها تفارقها في المتلقي، "فالخطبة تكون على ملأ من الناس غالبا، حتى تعمّ الفائدة، في حين نجد الوصية –غالبا– توجّه إلى إنسان معين في زمن معين، ولا حاجة لوجود جمهور بجانب الموصى إليه"(٢).

ورغم أن الوصايا تجري على أسلوب الخطب إلا أنها "أكثر ما تكون موجزة، شديدة الوقع في النفس لما فيها من عاطفة جيّاشة، ومن أسلوب مسجّع عادة، رشيق أبدًا"(٣).

والوصية أقرب إلى الحكمة من حيث إنها تحمل خلاصة تجربة وعصارة فِكْر، فهي تصدر عن مجرّب للحياة متأمل في مواقفها، فينتقي من تجربته ما يراه أقوم لموصيه وأصلح لأمره، أمّا الحكمة فتكون عامّة لا يُخصّ بها عند إطلاقها فَرْدٌ بعينه.

ولقرب الوصية من الحكمة في جانبها الفِكْري حاكتها في نمط بنائها؛ من حيث قصر العبارة وكثافة الفكرة.

ولم يكن الأدب العماني القديم بمنأىً عن هذا الفنّ النثري، فثمة إشارات مبثوثة في قصائد الشعراء الجاهليين والإسلاميين من أهل عُمان، فالشاعر

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص١١٩.

(٢) النثر في العصر الجاهلي، ص١٠٧.

(٣) الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص١١٩.

الجاهلي أوس بن يزيد مناة العَبْديّ(١) الذي ذُكِرَ سابقا بأنه استقرّ بعُمان بعد أن وفد على مالك بن فهم، قال في قصيدته التي مدح بها مالك بن فَهْم(٢):

كان فَهْمٌ أوصى بنيه وَصاةً .. حفظوها وكان فيهم مصيبا
أكرموا الضيفَ واحفظوا حُرْمةَ الجا .. رِ وكونوا ممن أُحِبُّ قريبا
فرَعَى مالكٌ وَصاةَ أبيه .. وكذاك النَّجِيبُ يُحيي النَّجِيبا

وهذه الوصية تحدث عنها من بَعْدُ الشاعرُ الإسلامي عقبة بن النعمان العتكي؛ إذ يشير إلى وصية مالك بن فَهْم في قصيدته التي ألقاها أمام أبي بكر الصديق ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ (٣):

ونحن أناسٌ يأمنُ الجارُ وَسْطَنا .. إذا كان يومٌ كاسفُ الشمس حالكُ
بذلك أوصى نِسْوَةُ الخيرِ قومه .. وعمرانُ والحامي الحقيقة مالكُ

فالشاعر يفخر بوصية قومه، التي تنصّ على حفظ حرمة الجار ولا سيما في الشدائد، وهي وصية تبعث على مكارم الأخلاق، ويرمي الشاعرُ من وراء أعلام قومه الذين ذكرهم (نِسْوَةُ الخيرِ، وعمران(٤)، ومالك بن فَهْم) إلى أنها وصية قديمة من العصر الجاهلي، يتناقلها خَلَفهم عن سَلَفهم.

---

(١) كذا ورد اسمه في: (الأنساب)، ج٢، ص٦٩٠.
(٢) الأنساب، ج٢، ص٦٩٠./ شعراء عُمان، ص٤٣.
(٣) شعراء عُمان، ص٧٦.
(٤) الأظهر أنه يريد: عمرانَ الوضّاح بن عمرو مزيقياء، جَدّ العتيك بن الأَسْد (انظر: الأنساب، ج٢، ص٥٩٣)

فإذا ما انتقلنا إلى العصر الأموي وجدنا وصايا المهالبة لبَنِيْهم، فالعوتبي وصف المهلب بن أبي صفرة بأنه "كان أكثر وصاياه لأولاده"(١)، وفي خبر آخر وصف العوتبيُّ يزيدَ بن المهلب – حين أشار إلى يزيد أحدُ نصحائه بعدم شخوصه بين يدي الحجّاج بن يوسف – بأنه: "لم يقبل منه؛ لكثرة وصايا المهلّب لبَنِيه بالتزام الطاعة"(٢).

وقد جاءت تلك الوصايا في بنائها الفِكْري مُجَسِّدةً مجتمع أسرة المهلب، بقيمه الإسلامية النبيلة، وخصاله العربية السّامية، كما جسَّدت خصائص أسرة المهلب في أبعادها الخُلُقية والعِلْمية والعَسْكرية(٣)، فمصادر التاريخ والأدب تنبئ عن أنَّ المهالبة كانوا مثلا في السخاء والجود، والدهاء والسياسة، وقيادة المعارك، وهم مع هذا أيضًا أدباء مبدعون في شعرهم ونثرهم.

وأمَّا في بنائها الشكليّ والفنّي فهي تمثّل أدب الوصايا في العصر الأموي، الذي أصبح فيه هذا الفنّ الأدبي مصقول الشّكل متّسع الأنواع، فجاء شكله البنائي مكتملا "وَفْقَ رسوم أخذت تتكامل حتى وهبت الوصايا سماتٍ تميّزها من أجناس الأدب الأخرى"(٤).

أمَّا موضوعات وصايا المهالبة فقد تنوعت وفق السياق الذي اقتضاها، فالمهلب بن أبي صفرة –مثلا– رُويت له وصايا كثيرة، تنوّعت موضوعاتها

---

(١) الأنساب، ج٢، ص٦٠٣.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٦١٧.

(٣) انظر مثلا: البيان والتبيين، ج٢، ص٦٦./ والعقد الفريد، ج١، ص٢١٤./ ج٢، ص١٤٧

(٤) النثر في العصر الأموي، ص٤١٨.

وفق السياق الذي اقتضى أن يصوغ المهلبّ فيه وصيته(١)، فهو الأبّ المربّي في السياق التربوي والديني، والصديق الوفيّ في السياق الاجتماعي، والسياسي المحنّك في السياق الإداري، والقائد العسكري في خضم المعارك.

ومن تلك الموضوعات يمكن تصنيف الوصايا إلى وصايا دينية وتربوية واجتماعية وسياسية وإدارية وعسكرية، ولا ريب أنَّ التداخل بين بعض هذه الأصناف حاصل أحيانًا، كالدينية والتربوية والاجتماعية، إلا أنّ الدينية أقرب إلى الحثّ على شرائع الدين، والتربوية أقرب إلى الحثّ على مكارم الأخلاق، وأعراف المجتمع العربي، وتكون في محيط الأسرة غالبا، أما الاجتماعية فتتجاوز محيط الأسرة لتلامس التعامل مع أفراد المجتمع.

وقد يجتمع أكثر من موضوع في وصية واحدة، كما سنرى لاحقا في وصية المهلب لبنيه حين حضرته الوفاة، لكنّ الملحظ فيما وقعت عليه الدراسة من وصايا المهالبة حضور البُعْد السياسي والعسكري في وصاياهم، ولا ريب أنّ هذا عائد إلى تلك المهام السياسية والعسكرية التي اضطلعوا بها في الدولة الأموية.

فمن وصايا المهلب لبنيه وهو يربّي فيهم من الأخلاق صلة الرَّحم، وحفظ اللسان، ومن الحنكة العسكرية المكيدة في الحرب قوله: "يا بَنِيّ تباذلوا تحابوا؛ فإن بني الأم يختلفون، فكيف بنو العلّات؟! إن البِرّ يَنْسأ في الأجل، ويزيد في العدد، وإن القطيعة تورث القلة، وتعقب النار بعد الذلة، واتقوا زلّة

(١) بعض هذه الوصايا ستجدها مضمنة وصيته الطويلة التي قالها لبنيه عند وفاته، لا يبعد أن تكون هذه الوصايا قالها في مواقف في حياته، ثم صاغها مكتملة في وصيته الأخيرة؛ لأن هذه الوصايا المجتزءة تسوقها كتب الأدب في سياقات اجتماعية وعسكرية خاصّة.

اللسان؛ فإن الرجل تزلّ رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلِك، وعليكم في الحرب بالمكيدة، فإنها أبلغ من النجدة فإن القتال إذا وقع وقع القضاء، فإن ظَفِر فقد سَعِد، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرّط"(١).

وثمة حَدَثٌ يسيرٌ يقع لابنه يزيد لكن المهلّبَ لا يفوته أن يوصي فيه ابنه بالحَزْم والشجاعة، وكأنه في موقف سياسي أوعسكري، ففي ذلك "يُروى أنّ جرّةً هوت على رأس يزيد ابنه فلم يتوقّها، فقال له المهلب: حفظت الشجاعة من حيث ضيّعت الحَزْم"(٢)

ونحو ذلك يقرن المهلّب الحثّ على العِلْم بالحثّ على ما شأنه الاستعداد للحرب، فيقول "لبنيه: يا بنيّ، لا يقعدنّ أحد منكم في السوق، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فإلى زرّاد أو سرّاج أو ورّاق(٣)"(٤)، فالزّراد والسرّاج للحرب، والورّاق للعلم.

وفي البُعْد الاجتماعي: "أوصى المهلب ابنه يزيدًا فقال: يا بُنَيّ، إياك والسرعة عند مسألة "بنَعَم"؛ فإن أولها سهل وآخرها ثقيل في فعلها، واعلم أنّ "لا" وإن قبحت فربما روحّت، وإن كنت من أمر تسأله عن ثقة فأطمع ولا

(١) البيان والتبيين، ج٢، ص١٨٨-١٨٩./ وانظر أيضا: نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٣.

(٢) الفاضل، ص٥٢.

(٣) الزرّاد: صانع الدروع، والسّرّاج: بائع سُروج الخيل وصانعها، والورّاق: بائع الكتب وناسخها.

(٤) عيون الأخبار، ج١، ص٢١٢./ وانظر أيضا: الحيوان، ج١، ص٤٠.

توجب، ثم افعل، وإن علمت أن لا سبيل إليه فاعتذر؛ فإنه من لا يعذر بالعذر بنفسه ظلم"(١).

وفي بُعْد اجتماعي آخر: "قَالَ الْمُهلب لِبَنِيهِ: يَا بَنِيّ، إذا غَدا عَلَيْكُم الرجل، وراحَ مُسَلِّمًا، فَكفى بذلك تقاضيا"(٢).

ولعل ما يُمثّل البُعْد الإداري وصيةُ يزيد بن الْمُهلب لِابْنِهِ مَخْلد حِين ولاه جُرجَان، فقال له: "استظرفْ كاتِبك، واستعقِلْ حاجِبَك"(٣)، فجاءت الوصية موجّهة لابنه ليُحسن اختيار كاتبه من حيث إن الكاتب يتحدث بلسان واليه، وينبئ عن ذوقه وأسلوبه، أمّا الحاجب فلا بد أن يتمتع بحنكة في تعامله مع الناس.

وفي سياق البُعْد الإداري ليزيد بن المهلَّب وصية أخرى طويلة لابنه مَخْلد لمَّا بعث به إلى خراسان ساق في مطلعها بيتَ أبي داود الإيادي:

إذا كُنْتَ مرتادَ الرجال لنَفْعهم .. فَرِشْ واصطنعْ عِنْدَ الذين بهم تَرْمِي

والبيت الشِّعْري يدعو إلى الإحسان فيمن ترجو منه نَفْعًا، فالفِعْل (رِشْ) جاء مجازًا من "رِشْتُ فلانًا: قوّيت جناحه بالإحسان إليه فارتاشَ وتريّشَ"(٤)، ومعنى الاصطناع من الصَّنِيع يأتي في سياق الإحسان والمعروف.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٤٥./ وانظر: تعليق من أمالي ابن دريد، ص١٥٥.

(٢) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦./ وانظر أيضا: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٣٨٥.

(٣) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٥.

(٤) أساس البلاغة، مادة: ريش.

وهذه الوصية بَعْد أن يُحثّ يزيد ابنه على حِفْظ ما بناه أبوه من إِرْث خُلُقِيّ وصَيْت مهيب يُدقِّق فيها النظر في جوانب إداريّة من شأنها أنْ تُحْكِم حُسْن الإدارة فيما يتَّصِل بشؤون الناس من صَوْن دمائهم وأعراضهم، وكذا ما يتَّصِل بمركز إدارته من اصطناع الرِّجال، واستعمال أهل العقل، واصطفاء الجلساء، وانتقاء الرُّسُل، والتدقيق في الكُتُب قبل إرسالها، إذ يقول في خاتمتها: "ولتكن رُسُلك فيما بيني وبينك مرتفعة عنّي وعنك، فإذا كتبتَ كتابًا فأكثر النظر فيه، فإنّ كتاب الرجل من عَقْله، واستودعك الله"(١).

ونقرأ للمهلب وصية أخرى، هي أقرب إلى السياسة في موضوعها، إذ يقول لبنيه: "إذا وليتُم فَلِينُوا للمُحْسن، واشتدُّوا على المُريب، فَإِن الناسَ للسُّلطان أهيبُ مِنْهُم لِلْقُرْآنِ"(٢)، وغير خافٍ أنّ الجملة الأخيرة من هذه الوصية تضمين لِمَا جاء في الأثر: "إِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ".

ومن وصاياه ذات البُعد العسكري قوله لبنيه: "لا تبدأوهم بقتال حتى يبدأوكم فيبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا نصرتم عليهم"(٣)، وهي وصية تمثّل بُعْدًا أخلاقيّا في الحروب، يعلّم فيها أبناءه عدم التعدّي على الخصم، إلا إن بدأ ليكون ذلك حجّة عليه.

وهذه الوصايا وأضرابها إنّما صيغت حين اقتضاها موقف من مواقف الحياة، حَرِصَ فيه الأب على توجيه ابنه، فجاءت موجزة في بضعة أسطر

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد، ص٢٠٦.

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص١٨٤./ وانظر أيضا: نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٧٠٢.

أوبضع جُمَل، كقوله: "إذا غَدا عَلَيْكُم الرجل وراحَ مُسَلِّمًا، فَكفى بذلك تقاضيا"، وقوله: "حفظت الشجاعة من حيث ضيّعت الحَزْم".

ومن وصايا المهالبة التي اعتمدت على الاستشهاد الشعري؛ كون ذاك الشاهد الشعري يلخّص فكرة الموصى به أنَّ "يزيد بن المهلب أوصى مخلداً ابنه، لما سار من خراسان إلى جرجان فاستخلفه على خراسان، ... قال له: يا بني، انظر هذا الحي من اليمن فكن فيهم كما قال أبو داود الإيادي:

إذا كنت مرتاد الرّجال لنفعهم .. فَرِشْ واصطنعْ عند الّذينَ بهم ترمي

وكن لهذا الحيّ من بكر بن وائل كما قال امرؤ القيس:

يا راكباً قولا لإخواننا .. من كان من كندة أو وائل

إنّا وإيّاكم وما بيننا .. كموضع الزّور من الكاهل"(١)

أمّا الوصية الجامعة فنجدها في وصية المهلب لبنيه عند دنوّ أجَلِه؛ فإنّ هذه الوصية تمثّل خلاصة عُمُر المهلبّ وعصارة تجاربه في الحياة، فجاءت وصية طويلة، جمعت بين تنوّع الموضوع، ورصانة الأسلوب، ففي الموضوع تجد أبعاد الحياة المختلفة – الآنف ذِكْرها – حاضرة في وصيته، وفي الأسلوب لا تجد تكلّفًا ولا تصنّعا، ولا حشوًا غايته تنميق الكلام، فهي "تُعَدّ من عيون النثر العربي في العصر الأموي"(٢).

ولأهميتها الأدبيّة، وكونها تمثّل براعة أدب المهالبة سنوردها كاملة، كما رواها المبرّدُ، إذ يقول: "لمَّا احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال: "أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن تقوى الله تُعْقِبُ الجنةَ، وإن صلة الرحم

(١) التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، ص١٥٦.

(٢) النثر في العصر الأموي، ص٤٤٨.

تُنْسِئُ في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتَعُزُّ الجانبَ.

وأنهاكم عن معصية الله، فإنها تُعْقِبُ النارَ، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بلقعاً وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة.

يا بَنِيَّ: قومَكم قومَكم! إنه ليس لكم عليهم فضل بل هم أفضل منكم إذ فضلوكم وسودوكم ووطؤوا أعقابكم، وبلغوا حاجاتكم لما أردتم، وأعانوكم، فلهم بذلك حق عليكم، وبلاء عندكم لا تؤدون شكره ولا تقومون بحقه، فإن طلبوا فأطلبوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم ولا تغلق دونهم.

يا بَنِيَّ: إني أحب للرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون للسانه الفضل على فعله.

يا بَنِيَّ: اتقوا الجواب وزلة اللسان؛ فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته وينتعش منها، ويزل لسانه فيوبقه، وتكون فيه هلكته.

يا بَنِيَّ: إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلكم مسألةً وتذكرةً بنفسه.

يا بَنِيَّ: ثيابُكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابُّكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم. (١)

---

(١) من قوله: "ثيابكم..." إلى قوله: "...تحتكم" يقول عنه أبو منصور الثعالبي: "وقد أشار إليه أبو تمام بقوله:

فأنت العليمُ الطَّبُّ أيُّ وصيّةٍ .. بها كان أوْصَى في الثيابِ المهلَّبُ

(الإعجاز والإيجاز، ص٧٦)

يا بَنِيَّ: أحبوا المعروف، واكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل، واصطنعوا العرب وأكرموهم؛ فإن العربيَّ تَعِدُه العِدَة فيموت دونك ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبها.

يا بَنِيَّ: سَوِّدوا أكباركم، واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا به، وارحموا صغيركم وقربوه وألطفوه واجبروا يتيمكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونوائب الدهر.

وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم، وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة، واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط ولكن القضاء غالب.

والزموا الحزم على أي الحالتين وقع الأمر، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف، تواصلوا وتآزروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة، وخذوا فيما أوصيكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها، وبآخرتكم إذا صرتم إليها ولا قوة إلا بالله.

وليكن أول ما تبدؤون به إذا أصبحتم تعليم القرآن والسنن والفرائض، وتأدبوا بآداب الصالحين من قبلكم من سلفكم، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والرِّيبة، ولا يطمع في ذلك منكم طامع.

وإياكم والخِفَّة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدُّوا حق الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت لله الحجة عليكم"(١).

وفي الوصايا أيضًا وما شابهها يستشهد أبو منصور الثعالبي بمقولات للمهلب وابنه يزيد(٢) في سياق "الكلمات القليلة الألفاظ، الكثيرة المعاني، المستوفية أقسام الحُسْن والإيجاز، الخارجة عن حَدّ الإعجاب إلى الإعجاز، في النَّثْر المُشْتمل على سِحْر البيان، والنَّظْم المُحَاكي قِطَع الجُمَان"(٣).

رابعاً: التوقيعات :

التوقيع فنٌّ طريف من ألوان التراسُل، يخرج في صورة "تعليقات أدبية نثرية وشعرية، يستعيرها معلِّقوها من التراث، أو يصوغونها بمواهبهم صياغة مركّزة مختصرة، فيجعلونها موجزة الألفاظ غاية الإيجاز، محكمة المعاني غاية الإحكام، لا يزيد أطولها على آية، أوبيت، أومثل، أوسطر، ويوفّرون لها عمق الفكرة، وجمال العبارة، ودقة التسديد وإصابة المقتل".(٤)

ويغلب على هذه التوقيعات أنها ذات بُعْد إداري سياسي؛ إذ تصدر عن أولي الأمر في الدولة تعليقًا على ما يَرِد إليهم.

والتوقيعات في أسلوبها تمتاز بالإيجاز، والبلاغة، وسموّ المعنى، وقوة مختلجة في الألفاظ(٥)، ولأجل سِمَة الإيجاز في أسلوبها وَصَفَ ابنُ عبد

---

(١) التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، ص١٥٣-١٥٥.

(٢) الإعجاز والإيجاز، ص٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧.

(٤) النثر في العصر الأموي، ص٢٦٩.

(٥) الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص٣٧١.

ربه (التوقيعات) وما في حكمها بقوله: "أشرف الكلام كلّه حسنا وأرفعه قدرا، وأعظمه من القلوب موقعا، وأقلّه على اللسان عملا: ما دَلَّ بعضُه على كُلِّه، وكفى قليلُه عن كثيره، وشهد ظاهرُه على باطنه، وذلك أن تقلّ حروفه وتكثر معانيه".(١)

وأظهر ما تمدّنا المصادر من توقيعات في الأدب العُمانيّ ما نجده عند الأمراء المهالبة في المهجر الأموي؛ إذ كانت الدولة الأموية محضنًا لهذا الفنّ النثري بعد عهد صدر الإسلام، فمما أُثِر من توقيعات المهلّب بن أبي صُفْرة أنَّ الحجاج بن يوسف كتب إلى المهلب يعجله في حرب الأزارقة ويُسَمِّعه(٢)، فكتب إليه المهلب: "إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره".(٣)

ومن توقيعات يزيد بن المهلب إلى أخيه زياد حين وجّهه إلى عُمان لقَتْل الخيار بن سبرة المجاشعي عامل الحجّاج على عُمان، وكان الحجاج قد ولَّى الخيارَ عُمان نكايةً منه بآل المهلب ليُهين قومهم العمانيين، فعمل خيارٌ بوصية الحجاج، فأساء السيرة في عُمان وأهان أشراف الأزد، فانتصر يزيد لقومه، فأرسل أخاه زيادًا لقتل خيار، فلمّا أبطأ زيادٌ في تنفيذ الأمر، بعث إليه يزيدٌ غلامَه مَرْتَعًا برسالة موجزة أقرب في أسلوبها إلى التوقيع قال فيها: "إنّي لم أبعثك جابيًا، ولكن بعثتك ثائرًا"(٤).

---

(١) العقد الفريد، ج٤، ص٢٣٧.

(٢) التسميع: أن يندد به ويشهّره ويفضحه ويسمّعه القبيح.

(٣) البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٣./ عيون الأخبار، ج١، ص٨٦.

(٤) الأنساب، ج٢، ص٦٢٠.

خامساً: المحاورات والرُّدُود:

المحاورة "محادثة بين اثنين أو أكثر، سواء صدرت عن اختلاف أو ائتلاف، وافتراق أو اتفاق"(١)، وهي تخرج في شكل ردود مرتجلة تصدر عن بداهة وسرعة خاطر وقوة معنى، ويمتاز أسلوبها البلاغي بإيجاز ومتانة، وصلابة عبارة في لين وعذوبة.(٢)

والرَّدُّ كالمحاورة من حيث إنَّ كليهما يكون جوابًا لكلام سابق، بل أصل المحاورات "رُدُودٌ مرتجلة" كما تبيَّن من التعريف السابق، ويبقى أنَّ الرَّدّ قد يكون رَدًّا واحدًا فحَسْب على كلام سابق، فلا يتشكَّل في الموقف الكلامي محاورة مستمرّة؛ إذ لا يسترسل الطرفان في الكلام، ولاسيما حين يكون الرَّدّ مُفْحِمًا للكلام السابق، وستقف على أمثلة من ذلك لاحقًا.

والأدب العمانيّ في المهجر الأموي حافل بالمحاورات البليغة والرُّدُود الأدبيّة، من ذلك تلك المحاورة البليغة التي سجّلها الجاحظ بين معاوية بن أبي سفيان وصحار بن عيَّاش، يقول الجاحظ: "قال: ابنُ الأعرابيّ: قال: معاوية بن أبي سفيان لصُحارِ بن عَيّاش العبديّ: "ما هذه البلاغةُ التي فيكم؟"، قال: "شيء تَجِيش به صدورُنا فتَقذفُه على ألسنتنا"، فقال له رجل من عُرْض القَوم(٣): "يا أمير المؤمنين، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب، أبصرُ منهم بالخُطَب"، فقال له صُحَار: "أجَلْ واللَّهِ، إنّا لنَعلم إنَّ الرّيح لَتُلْقِحُه، وإنَّ البَرد ليَعقِدُه، وإنَّ القمرَ ليَصْبَغُهُ، وإنَّ الحَرّ ليُنْضِجهُ"، وقال له معاوية: "ما تَعُدُّون البلاَغَةَ فيكم؟"، قال: "الإيجاز"، قال له معاويةُ: "وما الإيجاز؟"، قال

(١) النثر في العصر الأموي، ص٥٠١.

(٢) انظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي: "الأدب القديم"، ص٣٨١.

(٣) "من عُرْض القَوم" أي: من عامَّتهم.

صُحَار: "أنْ تُجيب فلا تُبطئ، وتقولَ فلا تُخطئ"، فقال له معاوية: "أَوَ كذلك تقول يا صُحَار؟"، قال صُحَار: "أقِلْني يا أمير المؤمنين، ألا تُبْطِئ ولا تُخْطِئ"(١).

"وهذه المحاورة تكشف إعجاب معاوية ببلاغة القوم، وتمكّنهم من ناصية الكلام، وبراعة صحار بن عيّاش وحضور بديهته في الرَّد على الهازئ بهم المُقلِّل من شأنهم، وهو رَدّ جاء مصداقًا لقوله عن الإيجاز بأنه "ألا تُبْطِئ ولا تُخْطِئ" ".(٢)

ومن ذلك في الأدب العماني محاورة أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) للأزدي العُماني حين استفصحه بمكّة المكرمة(٣)، وهو من بني الحُدَّان بن شَمْس(٤)، ومحاورة الحجاج بن يوسف لأزديّ عُماني لَقِيَهَ في زَرْع بالقاوسان. (٥)

ومن المحاورات العُمانيّة البليغة تلك المحاورة الطويلة التي وقعت بين كعب بن معدان الأشقري مُوْفَد المهلب بن أبي صفرة والحَجَّاج بن يوسف، وهي محاورة استفتحها كعبٌ بقصيدته الشعرية التي قال في مطلعها:

يا حفص إني عداني عنكم السفر .. وقد سهرت فأودى نومي السهر

فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ قال: كلاهما، ثم أقبل عليه الحجاج يسأله عن بني المهلب وحالهم في الحرب، وعن لقاء العدوّ، وحال

---

(١) البيان والتبيين، ج١، ٩٦./ وانظر: عيون الأخبار، ج٢، ص١٨٨.

(٢) لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، ص٧٢.

(٣) الأمالي، ج٣، ص١٦./ وانظر أيضا: نثر الدر في المحاضرات، ج٦، ص٨.

(٤) الإبانة في اللغة العربية، ج١، ص٣١.

(٥) البيان والتبيين، ج٢، ص١٤٦.

المهلب في الناس، وكان ردود كعب موجزة بليغة، فمما دار بينهما، سؤال الحجاج له: "أخبرني عن بني المهلب، قال: **المغيرةُ** فارسُهم وسيدهم، وكفى **بيزيد** فارساً شجاعاً! وجوادهم وسخيهم **قبيصةُ**، ولا يستحيي الشجاع أن يفرّ من **مُدْرِك**، **وعبد الملك** سُمٌّ ناقع، **وحبيبٌ** موت زعاف، **ومحمدٌ** ليث غاب، وكفاك **بالمفضَّل** نجدة!".(١)

ومن سؤال الحجّاج أيضًا قوله:"فكيف كان بنو المهلب فيهم؟ قال: كانوا حماة السرح نهارًا، فإذا أَلْيَلُوا(٢) ففرسان البيات، قال: فأيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة، لا يدرى أين طرفها"(٣)، وهكذا استمرّ الحوار بينهما، فأُعجب الحجاج بفصاحة كعب وبلاغته وسرعة بديهته، فقال لكعب في ختام الحوار: "أكنت أعددت لي هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: فقال: هكذا تكون والله الرجال! المهلب كان أعلم بك حيث وجَّهك".(٤)

وقد استدلّ عبدالقاهر الجرجاني ببلاغة كعب في هذه المحاورة على (التشبيه البعيد المأخذ) إذ يقول: "فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فَقْره إلى فضل الرِّفق به والنظر، ألا ترى أنه لا يفهمه حقَّ فَهْمه إلا من له ذهن ونَظَرٌ يرتفع به عن طبقة العامّة ... فأمَّا ما كان مذهبه في اللُّطف مذهبَ قوله: "هم كالحلقة"، فلا تراه إلا في الآداب والحِكَم المأثورة عن الفضلاء وذوِي العقول الكاملة"(٥)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٧١٤.

(٢) أَلْيَلُوا: أي دخلوا في وقت الليل.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ج٢، ص٧١٤.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص٧١٤.

(٥) كتاب أسرار البلاغة، ص٩٤.

ويبرز في المحاورات أيضًا صعصعة بن صوحان، فله محاورات طويلة مع معاوية بن أبي سفيان، وذلك في سياق أحداث الفتنة بين معاوية والإمام عليّ بن أبي طالب، فكان صعصة موفد الإمام علي إلى معاوية، وكانت له مع معاوية محاورة طويلة ذات بُعْد سياسي(١)، ومحاورة أخرى ذات بُعْدٍ قَبَلِيّ، أراد منها معاويةُ أن يستخبر فصاحة صعصعة طبعا أم تكلفا، فابتدره بهذا السؤال: "ممن الرجل؟ قال: من نزار، قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا انكمش، وإذا لقي افترش، وإذا انصرف احترش، قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من ربيعة، قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد"(٢)، وهكذا تمضي المحاورة على هذا المنوال(٣).

لكن زكي مبارك يرى أنّ هذه الصنعة تعسر على الارتجال، فمن المرجّح أن يكون هذ الحوار لحقه شيء من الترتيب، ولا سيما أنه منسوب إلى خطيب كابن صوحان، فلا يبعد أن يكون نَظَمَه نظما جديدا بعد خروجه من قصر معاوية.(٤)

(١) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٥١-٥٣.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٤٩-٥٠.

(٣) وبين صعصعة ومعاوية محاورة أخرى جاءت في كتاب (الأوائل) شاهدًا على أنَّ صعصعة "أحضر الناس جوابًا وأشدَّهم انتصافًا"، انظر كتاب: الأوائل،ص٢٠٤ .

(٤) انظر: النثر الفني في القرن الرابع، ج١، ص٩٠.

وممن حاور صعصعةَ أيضًا عبدُالله بنُ العباس رضي الله عنهما، يسأله عن حال آل صوحان كسؤددهم ومكانتهم وفروسيتهم(١)، وهي محاورة أقرب إلى النزعة الاجتماعية التي تتجلّى فيها مكانة قوم صعصعة.

ومن لطيف محاورات صعصعة ما يرويه الجاحظ: "قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صوحان عائدًا إلى مكة، فلقيه رجل فقال له: يا عبد الله، كيف تركت الأرض؟ قال: عريضة أريضة(٢)، قال: إنما عنيت السماء، قال: فوق البشر، ومدَى البصر، قال: سبحان الله، إنما أردت السحاب! قال: تحت الخضراء، وفوق الغبراء، قال: إنما أعني المطر، قال: عفّى الأثر، وملأ القُتَر(٣)، وبلّ الوبر، ومطرنا أحيا المطر، قال: إنسيّ أنت أم جنيّ؟ قال: بل إنسي، من أمة رجل مهدي ﷺ".(٤)

ومن بديع الحَذْف عند صعصعة ما استشهد به أبو هلال العسكري في باب (ذِكْر الإيجاز) في كتابه الصناعتين: "ومن الحذف قول صعصعة وقد سئل عن علي بن أبى طالب ﷺ، فقال: لم يَقُلْ فيه مُسْتَزِيد: لو أَنَّه، ولا مُسْتَقْصِر: إِنَّه؛ جَمَعَ الحِلْم، والعِلْم، والسِّلْم، والقرابة القريبة، والهجرة القديمة، والبصر بالأحكام، والبلاء العظيم فى الإسلام".(٥)، فحَذْف معمولَي الحَرْف الناسخ في "لم يَقُلْ فيه مُسْتَزِيد: لو أَنَّه، ولا مُسْتَقْصِر: إِنَّه" أوجز الخِطاب، فأضفى على السياق إبعاد كُلّ ما تتصوره النفوس مما يُستزاد أويُستقصَر في

---

(١) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٥٣ وما بعدها

(٢) **أريضة**: المعجبة للعين.

(٣) **القتر**: جمع قترة، وهي البئر يحفرها الصائد يكمن فيها.

(٤) البيان والتبيين، ج٤، ص٩٩.

(٥) كتاب الصناعتين، ص١٨٦.

هذا السياق، وصعصعة بهذا الإيجاز يُكنِّي عن حال بلغ غايةً لا مزيد عليها ولا قصور فيها.

وفي هذا السياق أيضًا ما نجده بعد فتح المسلمين مكران، إذ يبعث الحكم بن عمرو التغلبي صحار بن عيّاش العَبْدي إلى عمر بن الخطاب، فيسأله عمر عن مكران فيقول صحار: "يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وَشَلٌ(١)، وثمرها دَقَلٌ(٢)، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها فقال: أسجَّاع أنت أم مخبر؟

قال: لا بل مخبر، قال: لا، والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت".(٣)

وتوظيف السجع في جواب صحار واضح، حتى أنَّه لفت انتباه الخليفة عمر رضي الله عنه؛ لذا ابتدر يسأله: "أسجَّاع أنت أم مخبر؟، قال: لا بل مخبر"، والتزم في سجعه بحرف اللام منتقلًا من اللام المجرَّدة في (جبل، ووشل،...) إلى اللام المردوفة بياء في (طويل، وقليل)، متكئًا في نصّه على تقنية التكرار الفنِّي؛ إذ التكرار ليس نمطا شكليًّا في النص، وإنما يأتي ملبيا لمعطياته، فيؤدي هذا الارتداد الصوتي مهمة الربط والتوكيد الإيقاعي، وهذا من وظائف التكرار في النص.

فتكرار كلمة (قليل) في نصّ صحار العَبْدي جاء لترسيخ دلالة القِلَّة والتضاؤل في سياق مشقَّة المكان ووعورته، وقد تابع دلالة هذا التكرار بنسق تصاعديّ نحو المفقود: فالخير قليل، والكثير قليل، والقليل ضائع.

---

(١) وَشَلٌ: قليل.

(٢) دَقَلٌ: رديء.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص١٨٢.

ومن حيث الجانب التركيبي في جواب صحار تظهر بلاغة الإيجاز، فمع إيقاع السجع اختزل جوابه في جمل اسمية قصيرة، لم تجاوز كل جملة منها خبر مبتدئها مع تتاليهما، فلا تجد في كلامه حشوا زائدًا، ولا تكلُّفًا ممجوجًا، وهذا الإيجاز يقتضيه الحال، وهو يُجيب خليفة المسلمين بتقرير موجز عمَّا سُئِلَ عنه.

فإذا مضينا إلى أدب المهالبة نجد المصادر حافلة بردودٍ لهم، عسكريّة وأخرى اجتماعية، ذات أسلوب استرساليّ دون الالتفات كثيرًا إلى تنميق القول، وهذه طائفة من ردود المهلب بن أبي صفرة، وأخرى لابنه يزيد:

"شتم رجلٌ المهلّبَ بنَ أبى صفرة فلم يردُدْ عليه، فَقيل لَهُ: لِمَ حلمت عنه؟ فَقَالَ: لم أعرف مَساويَه، وكرهت أَن أبهته بِمَا لَيْسَ فِيه"(١)

"وَقيل للمهلب: :أيُّ المجَالِس خيرٌ؟ قَالَ: مَا بَعُدَ فِيهِ مَدَى الطرْف، وَكثر فِيهِ فَائِدَة الجليس"(٢)

"وَقيل للمهلب فِي بعض حروبه: لَو نمت، فَقَالَ: إِن صَاحب الحَرْب إِذا نَام نامَ جِدُّه"(٣)

و"قيل ليزيدَ بن المُهلب: أَلا تَبْنِي دَارًا؟ فَقَالَ: مَنزلي دَارُ الإِمَارةِ أَو الحَبْسُ"(٤)، وقريب منه أنَّه قيل له: "لم لا تَبْنِي بالبصرة دَارًا؟ فقال: لأنِّي

(١) الفاضل، ص٨٩./ نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٥.

(٢) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦.

(٣) المرجع السابق، ج٥، ص٤٨.

(٤) المرجع السابق، ج٥، ص٤٥./ عيون الأخبار، ج١، ص٣٤٠.

لا أدخلها إلا أميرًا أو أسيرًا، فإن كنت أسيرًا فالسِّجْن داري، وإن كنت أميرًا فدار الإمارة داري"(١).

"وَقيل لَهُ(٢): إنَّك لتُلْقي نفسَك فِي المهالك، قَالَ: إنّي إن لم آتِ المَوْت مُسترسلًا أَتَانِي مُستعجلًا، إنّي لست آتِي الْمَوْت من حُبّه، وَإِنَّمَا آتيه من بغضه، ثمَّ تمثل:

تأَخرت أستبقي الحَيَاة فَلم أَجِدْ .. لنَفْسي حَيَاة مثل أن أتقدمَا"(٣)

ومما يدخل في هذا الفنّ أيضًا ما عُرِفَ في الأدب العربيّ بالأَجْوِبة المُسْكِتة، فهذا النوع من الأجوبة يحتاج إلى بديهة حاضرة ودِقّة بالغة في لفظه ومعناه، وهذا لا يتحقَّق في الجواب إلا إذا "كانت الإصابة فيه، والحُجَّة معه، والبلاغة والإيجاز قَصْد صاحبه"(٤).

من ذلك في النثر العُمانيّ قَوْل معاوية بن أبي سفيان لصُحار بن عيَّاش العَبْدي: يا أحمر، قال: الذَّهب أحمر، قال: يا أزرق، قال: البازي أزرق"(٥)؛ وذلك أنَّ صحارًا كان "أحمر أزرق"(٦)، وذكر الجاحظ بأنَّه كان "الزُرْق العيون من العرب"(٧).

قال مولى ليزيد بن المهلب: "ما شتمني يزيد قَطّ إلا يومًا واحدًا؛ فإني رفعت إليه حساب غلّة كانت له، بِعْت منها باثني عشر ألف درهم"، قال:

---

(١) عيون الأخبار، ج١، ص٤٣١.

(٢) وتنسب أيضًا لأبيه المهلب. (انظر مثلا: التذكرة الحمدونية، ج٢، ص٤١٢)

(٣) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٥.

(٤) الأجوبة المسكتة، ص٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٦) المعارف، ص٣٣٩.

(٧) الحيوان، ج٥، ص١٧٧.

"ويلك، صيَّرتني بقّالًا وشتمتني"، وقال: "أعجزتَ أن تُقسِّمها في أحياء الأزد؟!"(١)

ومن ذلك أيضًا أنَّ هشام بن عبدالملك بعث إلى حبيب بن المهلب برؤوس آل المهلب وهو في الحَبْس، فقال له: "تَعْرف هذه؟"، قال: "نعم، هؤلاء رؤوس قوم زرعتْهم الطَّاعة وحصدتهم المعصية"(٢).

فبلاغة هذه الأجوبة قائمٌ مع إيجاز اللفظ على دِقّة الإصابة بحيث تَلْجِم المبتدأ وتفحمه، وهي كما قال ابن أبي عون إبراهيم بن محمد(٣٢٢هـ) بأن هذا النوع من الأجوبة: "يفضل به أهل البلاغة، ويسبق إلى البديهة به أهل الذكاء والفطنة، وقرب المأخذ في الاحتجاج على الخصم، وإيقاع الجواب على المبتدئ بالسؤال، وإفحام المشاغب عن معارضه بالحجاج، وخاصة إذا طبق الجواب المعنى وأَغْنى عن الإعادة، كان الابتداء والجواب كالمثاقبة بالآلة، والحَمْل في المعركة"(٣).

سادساً: القصص :

لعل أبرز ما يمثّل القصص في العصر الجاهلي تلك الأخبار التي يروونها في أيام العرب، فهذه الأيام تعدّ نوعًا طريفًا من أنواع القصص، بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، وما رُوِيَ في أثنائها من نثر وشعر(٤)، كما هو الشأن في قصة حرب داحس والغبراء(٥).

---

(١) الأجوبة المسكتة، ص٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٣.

(٤) الجامع في تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم"، ص١٢١.

(٥) أيام العرب في الجاهلية، ص٢٤٦./ وانظر: أمثال العرب، ص٨١.

وثمَّة قصص جاهلية ترد في كتب الأمثال، ككتاب (الأمثال) للمفضَّل الضَّبِّي(١٦٨هـ)، إذ ورد فيه ما يزيد على ثمانين قِصَّة، "تشير في معظمها إلى وقائع وأعلام مستمدة من موارد شرقية، من العراق والبحرين، وما يليهما إلى حضرموت جنوبًا"(١)، ومن تلك القصص ما كان مَوْرد مَثَل من الأمثال، ومن أبرز هذه القصص قِصَّة جذيمة بن مالك بن فَهْم الأزدي مع الزَّبَّاء(٢)، وقِصَّة لقمان، وقِصَّة الحيَّة والفأس(٣).

وفي عصر صدر الإسلام عُرِفَ ثلاثة من القصّاص الأوائل تنازعوا شرف الريادة في القصّ الديني، وهم: الأسود بن قريع، وعبيد بن عمير، وتميم بن أوس الداري(٤).

ثم جاء بعد ذلك قصّاص من الناسكين والعابدين، يُذكَر منهم زيد بن صوحان(٣٦هـ)(٥)، وكان ابن صوحان ومن على شاكلته يمزجون قصصهم بالحديث عن الرسل والأنبياء والأمم الداثرة، كما كانوا يمزجونها بآي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول ﷺ.(٦)

وفي العصر الأموي اتّسع فنّ القصّ، حتى أصبح قصصا توجّهها السياسة خدمة لها، فالأحزاب السياسية اتخذت من القصص وسيلة للدعوة

---

(١) الأمثال في النثر العربي القديم، ص٣٨.

(٢) المفضل الضبي في كتابه (أمثال العرب) يوردها باسم ابنة الزّباء (ص ١٤٣)، وترد في مصادر أخرى باسم الزباء.

(٣) أمثال العرب، على التوالي ص: ١٤٣، و١٥١، و١٧٧.

(٤) النثر في العصر الأموي، ص٢٩١.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٢٣-١٢٤.

(٦) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٧٦.

لها، وكان للأمويين في كلّ بلد قاصّ يقصّ على الناس في المسجد الجامع يدعو إلى طاعتهم.(١)

وإذا ما انتقلنا إلى واقع القصص في الأدب العماني القديم فهناك قصص تروي تفاصيل بطوليّة لأحداث عمانيّة، أو لها صلة بعُمان، وتلك التفاصيل إن لم تكن تمثّل الحدث الذي قيلت فيه على حقيقته فقد تدخّل في تفاصيلها الخيالُ العُمانيُّ، فصاغها بفنّ قصصي يُحاكي الواقع؛ ليبقى له في ذاكرة الأجيال يؤرّخ الحَدَث، ويفخر بالمشهد، ويتباهى بالعزّ والظَفَر.

من تلك القصص التي تحتفي بها المصادر العمانية قصةُ يومِ سَلُّوت التي تبدأ أحداثها من رحلة مالك بن فهم من اليمن إلى عُمان ثم قتاله للفرس بعُمان(٢)، وكذا قصة قَتْل سُلَيمة لأبيه مالك التي تبدأ بحادثة القَتْل، وتنتهي بزوال مُلْكه من بلاد كَرْمان على يد الفرس بعد اختلاف بَنِيه(٣)، وكذا قصة جذيمة الأَبْرش بن مالك بن فهم مع الزبّاء(٤)، وقصة إسلام مازن بن غضوبة(٥).

ودراستنا تعرض لهذه القصص من حيث كونها قصصًا تنسب وقائعها زمنيًّا إلى الحقبة التي ندرسها، ومكانيًّا إلى أرض عُمان أو ما له صلة بعُمان، نقول ذلك غير غافلين عن أنّ مصادر غير عمانيّة روت أيضًا هذه القصص أوبعضًا منها، ثم أفادت منها المصادر العمانيّة لاحقًا، فنجد نحو

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٦٦.

(٢) الأنساب، ج٢، ص ٦٧٨-٦٨٩.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص ٦٩٣-٧٠٣.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص ٧٢٤-٧٢٩ .

(٥) المرجع السابق، ج١، ص ٣٢٢-٣٢٣.

ذلك –مثلا– في نَقْل العوتبي قصة يوم سلّوت في كتابه (الأنساب) عن ابن الكلبي(١).

ومهما يكن في مصدر تلك القصص فإنَّ الملحظ الذي يعني دراستنا هُنا هو أنَّ الذاكرة العمانية اعتنت بحفظ أحداث هذه القصص ووقائعها منثورةً في مصادرها، ومنظومةً في قصائدها؛ كونها مبعثًا للفَخْر إذا استثنينا منها قصة مقتل مالك بن فهم، وإن كانت في تضاعيفها لا تخلو من جوانب اعتزاز.

ويتأكّد لنا احتفاظ الذاكرة العمانية بتلك القصص وافتخارها بها ما ضمنه الشعراء العمانيون في قصيدهم على مرَّ التاريخ، منها تلك القصائد التي أوردها العوتبي تصف وقائع تلك القصص، ومنها قصائد تُنْسب لشعراء عمانيين من العصر الجاهلي، وقد ذكرت الدراسة سابقا بعضًا منها، وقصائد عمانيّة أخرى احتفت بشخوص تلك القصص، كقول كعب بن معدان الأشقري يُفاخر بُرَيْد بن حسّان الإيادي(٢):

يا ابن المراغة حِرْتَ في دَوِّيَّة(٣) كيما تنال إذا عَدَدْت مفاخري
من ذا تَعُدُّ إلى جذيمة فيكم وإلى هناءة فَرْعَ عِزٍّ قاهرِ
وإلى سليمةَ والعُقاةِ وغامدٍ موجٌ يُقَمِّصُ بالمُشِيحِ الماهرِ

والعوتبي نفسه روى قصائد لشعراء عمانيين من معاصريه يعتزون فيها بذكرى تلك الوقائع(٤)، بل لا يزال هذا الاعتزاز يملؤ نفوس العمانيين في

(١) انظر مثلا: المرجع السابق، ج٢، ص٦٧٨ وما بعدها.
(٢) شعر كعب بن معدان الأشقري، ص٧٢.
(٣) **المراغة:** الأتان، **والدَوِّيَّة:** فلاة لا ماء فيها ولا أنيس.
(٤) انظر: الأنساب، ج٢، ٦٨٩، ٧٠٢.

عصرنا الحاضر، مثلما نجده في قصائد "أمير البيان" الشيخ عبدالله بن علي الخليلي والشيخ أبي سرور الجامعي، كقول "أمير البيان"(١):

ونَكَبْنـــا الفُـــرْس عـــن أفيائنـــا وعلـــى العَـــرْش ابـــنُ دارا لا يَـــدِينْ

فجَلَوْنـــــاهمْ وفِينـــــا مالـــــكٌ سَـــــــيِّدُ الأزدِ ورَأْسُ الفـــــــاتحينْ

وقد شكَّلت تلك القصص على مرّ التاريخ رموزًا إلى دلالات خاصّة في الذاكرة العمانيّة، فيوم سَلُّوت الذي تحقَّق فيه الانتصار على الفرس أصبح رمزًا إلى معنى الاستقلال والسيادة للأمّة العمانية على أراضيها الممتدة في تلك الحقبة التاريخية، فلا غَرْو أن تُروى قصتها البطولية التي أبلاها مالك بن فهم وجيشه.

ورغم أنَّ هذه القصص جاءت في المصادر على أنها مادة تاريخية تحكي حدثًا خطيرا، إلا أنَّ راويها لم يكتفِ بنَقْل أبرز العناصر من شخوص وبُعْدٍ زماني ومكاني، بل تخطّى ذلك لتكون قصّةً، لأحداثها تنامٍ وعقدةٌ وحلٌّ، وقد يتخللها حوارٌ بين شخوصها، وقد يتوقف الرواي أحيانًا ليصف تفاصيل المشهد بدقة موظّفًا عنصر الإثارة، فيصوّر الحدث للقارئ وكأنه يعيشه.

ففي قصة يوم سلّوت يصف الراوي مشهد استعداد مالك بن فهم للحرب "حتى إذا أصبحوا توافقوا للحرب، وقد استعد كلا الفريقين، وركب مالك بن فهم فرسا له أبلق، وظاهر بين درعين، ولبس عليها غلالة حمراء، وتكمّم على رأسه بكُمّة حديد، وتعمّم عليها بعمامة صفراء، وركب معه ولده

(١) الموسوعة الشعرية لأمير البيان، ج٩، ص٥٦.

وفرسان الأزد على تلك التعبئة، وقد تقنعوا بالدروع والبيض والجواش، فلا يبصر منهم إلا الحدق"(١).

ويعتني الراوي في وصفه لينقل لنا أحاسيس شخوص القصة، كما في وصفه خروج مالك لمبارزة المرزبان، وحال أصحابه حينها: "فخرج إليه مالك برباطة جأش، وقوّة قلب، فتطاعنا بين الصفين مليا، وقد قبض الجميع أعنة خيولهم، فأوقفوها ينظرون إلى ما يكون منهما"(٢)، فالبُعد الحركي لقبض أعنة الخيول يعكس شعورًا خفيًّا بتوقّف النَّفَس ووجل القلب؛ خشية وقوع الهزيمة، وقد نقل الرواي هذا الشعور في مرحلة بلغ فيه تأزّم الأحداث ذروته، فإمَّا النصر وإمَّا الهزيمة النكراء.

ولإثارة المتلقي يعتني في وصفه كذلك بنقل معطيات الحواسّ في مشهد بطولي واحد، فيصف بسالة جيش مالك بأنَّهم "اكتنفوا لواء العجم، واختلط الضرب، والتحم القتال، وارتفع الغبار، وثار العجاج، حتى حجب الشمس ولم يكن يسمع إلا صليل الحديد، ووَقْع السيوف، فتراموا بالسهام، حتى تقصَّدت، وتطاعنوا بالرماح حتى تكسَّرت، وتضاربوا بالسيوف وأعمدة الحديد"(٣).

وفي حكاية حدث قتل سليمة لوالده مالكٍ خطأً(٤) وظّف الرواي تقنيات فنية جعلت الأحداث تتنامى سريعًا لتصل إلى عقدتها مستعينًا بعنصر الإثارة ، وسيرد لاحقًا عند الحديث عن (الأمثال) ذِكْر هذا المشهد.

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٦٨٢.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٦٨٤.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص٦٨٦.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص٦٩٤.

سابعاً: الحِكَم :

الحكمة –كما عرّفها بعض المعاصرين– هي: "العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، وتعبِّر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادةً الموعظة والنصيحة"(١)، وعلى هذا التعريف فإن الوصايا السابق ذِكْرها تخرج مخرج الحكمة؛ كونها تعبِّر عن تجربة من تجارب الحياة، وهدفها الموعظة، لكن تقسيم الدراسة اقتضى إفرادها لأنّ للوصية سياقًا خاصًّا تُقال فيه، سبق الحديث عنه.

وقد أُثِرَ في كتب الأدب حكمٌ جاءت على ألسنة أهل عُمان في العصر الأموي، فصعصعة بن صوحان يتأمل في حال الناس في هذه الحياة، فيجدهم طوائف شتى، كلّ طائفة أهمَّها أمرٌ، فاشتغلت به، فيقول: "خلق الله الناس أطواراً، فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للبأس والنجدة، وطائفة للصنائع والحرف، وآخرون بين ذلك يكدِّرون الماءَ ويُغلون السِّعر"(٢).

والخليل بن أحمد الفراهيدي يقول عن مدارسة العلم: "كُنْ على مُدارسة ما في قلبك أَحْرَصَ مِنْكَ على حفظ ما في كُتُبك"(٣).

وقال أيضًا: "اجعل ما في كتبِكَ رأسَ مال، وما في صدرك للنفقة"(٤).

---

(١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص١٨.

(٢) البصائر والذخائر، ج١، ص٤٥.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٠٦.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص٢٠٦.

ويَمْدح المهلب في المرء خصلة السخاء فيقول: "نعم الخصلة السخاء تسد عورة المزيف، وتلحق خسيسة الوضيع، وتحبب المزهو، وتسد الخلة، والبخيل لا ينفعه عيشه، ولا يجد البخيل إلا حسوداً محتالاً"(١).

ومن هذا الباب يختزل المهلب مفهوم (المسألة) في كثرة تردُّد المرء عليك: "كفى بِالمَرْءِ مَسْأَلَة أَن يغدُوَ عَلَيْك ويرُوح"(٢)

وفي العزة بالصِّدْق يقول الملهب: "مَا السَّيْف الصارم فِي كف الشجاع بِأَعَز من الصِّدق"(٣)

وذكرتْ هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساءَ فقالت: "ما زُيِّنَ بشيء كأدبٍ بارعٍ، تحته لُبٌّ ظاهر".(٤)

وفي معنى (حِفْظ السرّ) يقول المهلب: "أَدْنى أَخْلَاق الشريف كتمانُ السِّر، وأعْلى أخلاقه نسيانُ مَا أُسِرَّ إِلَيْهِ"(٥)

وفي المقابل يذمّ إفشاء السرّ: "مَا رأيتُ الرجال تضيقُ قلوبُها عِنْد شَيْء كَمَا تضيق عِنْد السرِّ"(٦).

أمَّا يزيدُ بن الْمُهلب فيقول: "مَا رَأَيْت عَاقِلا ينوبه أمرٌ إِلَّا كَانَ مقوله على لَحْييه"(٧)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٤٥.

(٢) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٨.

(٣) المرجع السابق، ج٥، ص٤٨.

(٤) الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٠٦.

(٥) نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦.

(٦) المرجع السابق، ج٥، ص٤٣.

(٧) المرجع السابق، ج٥، ص٤٥.

وفي الصديق والجليس: "قال الْمُهلب بن أبي صفرة: عجبتُ لمن يَشْتَرِي المماليك بمالِه، كيف لَا يَشْتَرِي الْأَحْرَار بمعْرُوفه؟!"(١)

ويقول:"العَيْش كلُّه فِي الجليس المُمتع"(٢)

وفي شُكْر النعمة تقول هند بنت المهلب بن أبي صفرة: "إذا رأيتم النِّعَم مُسْتَدِرَّة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال".(٣)

وفي هذا المعنى تقول أيضًا: "اغتنموا شُكْر النِّعْمة قبل زوالها"(٤).

وثمة حِكَمٌ أُثِرَتْ عن المهالبة أيضًا، يظهر أنها من نتاج تمرُّسهم في السياسية وحنكتهم العسكرية في الحروب، من ذلك قول المهلب: "أَنَاةٌ في عَوَاقِبِهَا دَرَكٌ، خَيْرٌ من عَجَلَةٍ في عَوَاقِبِهَا فَوْتٌ"(٥).

و"قَالَ المهلبُ: " لَيْسَ أنمَى مِن سيف"(٦)

وقَالَ حبيب بن الْمُهلب: "ما رأيت رجلاً قط مُسْتَلْئِمًا(٧) في حرب إلا كان عندي رجُلينِ، وما رأيت رجُلينِ حَاسِرَيْنِ في حرب قط إلا كانا عِنْدي بمنزلة رجل واحد "(٨)

---

(١) الحيوان،ج٧، ص٨٨./ وانظر أيضا: البيان والتبيين، ج٣، ص٢٠٥./ الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٣٨٥./ نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٤.

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص١٦٣./ نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٦.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٠٦.

(٤) الفاضل، ص٩٦.

(٥) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، ص٤٤١.

(٦) البيان والتبيين، ج٢، ص٣١٥./ نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٤.

(٧) "اسْتَلْأَمَ: لَبِسَ لَأْمَتَهُ"، و"اللَّأْمَةُ: بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: الدِّرْعُ، والجمع: لَأْمٌ، مثل: تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، ولُؤْمٌ مثل: غُرَفٍ، لكنه غير قياس" (المصباح المنير: مادة: لوم)

(٨) البصائر والذخائر، ج٤، ص١٧٤./ نثر الدر في المحاضرات، ج٥، ص٤٥.

"وكان المهلب يقول: الإقدام على الهلكة تضييعٌ، كما أنّ الإحجام عن الفَرْصة جُبْنٌ"(١).

أما موضوعات هذه الحكم فقد رأيتَ كيف صِيغتْ بفكر بيئتها الإسلامية وأصالتها العربية، داعيةً إلى مكارم الأخلاق، من حثٍّ على العلم، والاعتزاز بالصدق، وعناية بالصديق، وحفظ للسرّ، وبذل للمال، وشُكْر على النعمة، وشحذ للهمم، واغتنام للفرص، واستنهاض للشجاعة والبأس.

ورأيتَ كذلك كيف أنّ الحكمة تتمخض عن تجربة طويلة في الحياة، ولعل في صيغة "مَا رَأَيْتُ..." التي صُدِّرتْ بها بعض تلك الحِكَم تُنْبِئُ عن عمق في النظر، وتأمل دائم وتمرّسٍ وارتياض، فلا عجب بعد هذا أن يصوغ الخليل بن أحمد حكمًا في العلم وهو العلامة النحرير، ويصوغ آل المهلب عن الكرم والشجاعة وهم مضرب المثل في السخاء والبأس.

ويبدع الحكماء في صياغة حكمهم ليكون لها وَقْع في النفوس بمبناها ومعناها، فمن ذلك استعمال أسلوب التداعي وهو الانتقال من المعنى إلى نقيضه فـ"الأناة مع الدرك" يستدعيان "العجلة مع الفوت"، وكذا "الإقدام" يستدعي "الإحجام"، و"الاستلآم" يستدعي "الحَسْر".

وقد تخرج الحكمة في أسلوب خطابي، ينتقل بها صاحبها من الخبر إلى الإنشاء، فيخيّل إليك كأنها خطبة على محفل، أو وصية بين يدي موصى له، كما في الحكم: "اغتنموا شُكْر النِّعْمة..."، و"كُنْ على مُدارسة..."، و""اجعل ما في كتبِكَ...".

---

(١) الفاضل، ص٥٢.

ثامناً: الأمثال:

المثل العربي يُعَدّ نمطًا أدبيًّا يكون الإيجاز سمة بارزة فيه، لكنه يستبطن معنًى يحمل في طياته دلالات عميقة، تعكس فِكْر المجتمع ونظرته إلى الحياة، فيأتي معبِّرًا عن واقع في المجتمع، وعن أمرٍ لصيق بحياة الناس.

وإذا كانت جملة من فنون النثر السابقة كالخطابة والرسائل تقتضي من يصوغها أن يكون متأهِّلًا لها، مُتمرِّسًا في نمط بنائها ودِقَّة صياغتها، عارفًا برُسُومها – فإنَّ المثل لا يحفل بذلك؛ إذ يجري عَفْوًا على اللسان في موقف طارئ، دون استعدادٍ سابقٍ له ولا تهيُّؤ نفسي لإلقائه؛ ولذا تجد المَثَل يَجْرِي على ألسنة الناس عامّة مُبَرِّزهم ومُقصِّرهم، سيِّدهم ومَسُودهم، رجالهم ونسائهم، من هنا تردَّد في مصادر الأدب حين يُطْلِق أحدهم مَثَلًا لأوَّل مرَّة قالوا: "فأَرْسَلَها مَثَلًا" أو "فذَهَبَتْ مَثَلًا"، دون التفات إلى أنَّ صاحب المَثَل ذو شأنٍ أو غير ذلك.

ومصادر الأدب العربيّ اعتنت بالوقوف على الأمثال، ووصف صياغتها، من حيث كونها جِنْسًا أدبيًّا خاصّا، يقول ابن عبد ربه (٣٢٨هـ) عن الأمثال: "هي وَشْيُ الكلام، وجوهرُ اللفظ، وحَلْيُ المعاني، التي تخيَّرتها العرب، وقدَّمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشّعر، وأشرف من الخطابة، لم يَسِرْ شيءٌ مسيرَها، ولا عَمَّ عمومَها، حتى قيل: أَسْيَرُ من مَثَل"(١).

(١) العقد الفريد، ج٣، ص٣.

وفي تعريف المثل يرى الدكتور عبد المجيد قطامش أنَّ المَثَلَ "قول موجز سائر، صائب المعنى، تُشَبَّهُ به حالةٌ حادثةٌ بحالةٍ سالفةٍ"(١)، وبناء على هذه النظرة إلى المثل أخرج عنه تلك الأقوالَ والعباراتِ التي سارت مسير المثل لكن ليس لها مَوْرِد، أي: حادثة معينة ترتبط بها، كدعائهم لمن يتزوج بقولهم: "بالرِّفاء والبنين".

ووَجْه إخراج الدكتور قطامش هذه الأقوالَ عن المثل "أنَّ المثل أساسه تشبيه حالة بحالة، وهذه الأقوال لا تتضمن أي تشبيه"(٢)، وعلى هذا النمط ثَمَّة أقوال وعبارات عمانية –سيرد ذكرها لاحقا– سارت مسير المثل، ولم نجد لها موردًا قِيْلَتْ فيه ابتداءً.

لكن رأي الدكتور قطامش جاء على خلاف ما نهجته مصادر الأمثال، إذ درجت على إلحاق تلك الأقوال والعبارات بالأمثال، فقد أشبهتها في كثرة الاستعمال وحُسْن الاختصار فأعطيت حُكْمها(٣).

وبناءً على ذلك يُعرَّف المثل بأنَّه: "عبارة موجزة يستحسنها الناس شَكْلًا ومضمونًا، فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخَلَف عن السَّلَف دون تغيير، متمثِّلين بها غالبًا في حالات متشابهة لِمَا ضُرِبَ لها المَثَلُ أصْلًا، وإنْ جُهِلَ هذا الأصل"(٤)، وعلى هذا النهج ستمضي هذه الدراسة.

أمَّا فقدان المَثَل عُنْصر التشبيه فإنَّ الدكتور قطامش نفسه يرى أنَّ المثل لا يشترط له حادثة يرتبط بها؛ ليُقاس عليها حوادث مشابهة لها تكون

(١) الأمثال العربية، ص١١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢.

(٣) للتوسع انظر :موسوعة أمثال العرب، ج١، ص٢٤–٢٨.

(٤) موسوعة أمثال العرب، ص٢١.

مضربًا للمثل، بل يرى أنَّ "المقصود بمورد المثل إطلاقه أولًا في موقف ما، سواء أكان هذا الإطلاق في إطار حادثة بذاتها أم لم يكن"(١).

والمَثَل في جانبه الفَنِّيّ حين يُساق في الكلام يضفي عليه رَوْنقًا، ويكسيه بهاء، ويعظّم دلالته، ويقوّي فكرته، و"يزِيد المنطق تفخيمًا، ويكسبه قبولاً، وَيجْعَل لَهُ قدرا فِي النُّفُوس وحلاوةً فِي الصُّدُور"(٢)، وتتأكَّد القيمة الفنية للأمثال في "أَنَّهَا مَعَ إيجازها تعْمل عمل الإطناب، وَلها روعة إِذا برزت فِي أثْنَاء الخطابِ، وَالحِفْظُ مُوكلٌ بِمَا رَاعَ من اللَّفْظ ونَدَرَ من المَعْنى"(٣).

وإذا انتقلنا إلى الأمثال العمانية في تلك الحقبة التاريخية نجد المصادر تنقل لنا أمثالًا أرسلها العمانيون، لكن ما وصلنا عنهم قليلٌ جدًا.

ولعل أهمَّ مصدرينِ في الأمثال يعنِيانِنا هنا –سبقت الإشارة إليهما–: (كتاب الأمثال) لصحار بن عيَّاش العَبْدي العُمَانيّ (٤٠هـ)، وكتاب (تَبْيِين الحكمة) في الحِكَمِ والأمثال للعلامة أبي المنذر العوتبي (ق٥هـ)، لكنهما مفقودان، ولعلنا سنكون أوفر حظًّا لو بقيا بين أيدينا، فالمظنون بهما أن يُولِيا المَثَل العُمانيّ القديم اهتمامًا أكبر بتوثيقه، مما وصلنا في المصادر الأخرى.

وسبق للباحث أن تحدّث عن الأمثال القديمة لأهل عُمان في دراسة أخرى موسومة بـ(لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي)، وأورد في هذه الدراسة ما وَقَعَ عليه من أمثال القوم في عصر الاحتجاج اللغوي، من

---

(١) الأمثال العربية، ص١٥.

(٢) جمهرة الأمثال، ج١، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٥.

حيث إنّ المَثَل يعبّر عن لغة مَنْ صَاغَهُ، في مفرداته وتراكيبه ودلالاته، مما شارك فيه لغة العرب العامّة أومما اختصّت به بيئته اللغوية.

ولمَّا كان المَثَل جِنْسًا أدبيًّا خاصًّا اقتضى هنا أن نجدِّد العهد بتلك الأمثال العُمانيّة القديمة، ونردف بها أمثالًا عمانيّةً أخرى، مما يقتضيه سياق هذه الدراسة الأدبية، فالمَثَل بعبارته الموجزة يحمل في طياته "حكمة الأمم والشعوب، تبدو فيها نظراتها إلى الحياة، ومذاهبها في الأخلاق الفردية والعلاقات الاجتماعية، كما أنها تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية، وكثير من عاداتها ومعتقداتها، وهي بهذا تفضل سائر الفنون الأدبية، التي لا تستوعب هذه الأمور كما تستوعبها الأمثال، ولا تفصِّلها تفصيلها"(١).

فمن الأمثال العمانيّة القديمة قولهم "**أَظْلَمُ مِنَ الجُلَنْدَى**"(٢)، وهو مثل يضرب للدلالة على التناهي والمبالغة في الظلم، وينطوي على دلالة تاريخيّة، فيصوّر جانبًا من حُكْم الجلندى بن المستكبر(٣) ملك من ملوك عُمان في الجاهلية.

ولعل بعض ما أخذوه على هذا المَلِك أنه لم يكن يُباع شيء في الأسواق الموسمية بعُمان كسوق صحار وسوق دبا "حتى يبيع ملكها

---

(١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص٢٤٩.

(٢) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، ج١، ص٦٥./ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٨٣./ مجمع الأمثال، ج١، ص٤٤٦./ المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٢٣١.

(٣) وقيل: الجلندى بن المستكير (بالياء المثناة التحتية)، وقيل: الجلندى بن كركر بن المستكير.

الجلندى بن المستكبر كل ما عنده، وهو الذي يعشِّر الناسَ(١) فيها كما يفعل غيره من الملوك في غيرها من الأسواق"(٢)، فكان الناس ينحجزون عن عَرْض بضائعهم حتى يبيع الملكُ كلَّ ما عنده من متاع(٣).

ويستدلّ بعضهم على ظُلْم الجلندى الوارد في المَثَل أنه جَرَى ذِكْرُهُ في القرآن في قوله عزَّ وجل: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:٧٩)، وآخرون ينفون هذا الرأي بحُجَّة أن الجُلَنْدَى وقع إلى سِيْف فارس في دولة الإسلام(٤)، والحقيقة أنَّ هذين الرأيين بعيدان عن واقع التاريخ العُمانيّ(٥).

وتتجلى القيمة الفنية في الأمثال المضروبة بصيغة (أفعل من) في أنها تصاغ عند إرادة منتهى التشبيه وأقصاه، كما يقال: أجود من حاتم، وأعيا من باقل، وإنما يتم ذلك ببلوغ المضروب به غاية ذلك المعنى، وهذا عائد إلى نظر القائل واعتباره وحُكْم خياله، فأيّما شيء استعظم درجته ساغ له أن

---

(١) **(يعشِّر الناسَ)** مأخوذ من قولهم: "عَشَرَهُم يَعْشِرُهُم عَشْراً وعُشوراً وعَشَّرَهُم: أخَذَ عُشْرَ أموالِهِم" (القاموس المحيط، مادة: عشر)

(٢) انظر: أسواق العرب، ص٢٦٥./ وانظر: الأزمنة والأمكنة، ص٣٨٤.

(٣) انظر: أسواق العرب، ص٢٧٠.

(٤) مجمع الأمثال، ج١، ص٤٤٦./ وانظر أيضا: جمهرة الأمثال، ج٢، ص٣١./ المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٢٣١-٢٣٢.

(٥) لأن آل معولة بن شمس حكموا عُمان بعد أبناء مالك بن فهم، فإذا كان الجلندى معاصرًا للنبي موسى -عليه السلام- فمعنى ذلك أنّ مالك بن فهم قَدِمَ إلى عُمان قبل ولادة النبي موسى -عليه السلام- بسنين طويلة، وهذا بعيد عن واقع التاريخ، وكذلك الرأي الثاني بأنَّ "الجُلَنْدَى وقع إلى سِيْف فارس في دولة الإسلام"؛ لأنَّ الإسلام دخل عُمان ومُلْكها بيد عبد وجيفر ابني الجلندى.

يَضْرِبَ به المثل(١)، وإنْ كان في الواقع من هو أبلغ اتصافًا بتلك الصفة وأحقّ من المضروب به المَثَل.

ومن الأمثال العمانيّة قولهم: "**إذا وَافَقَ الهَوَى الحقَّ المَحْضَ فالرَّائِبُ بالفَرْض**"(٢)، وهو مثل ساقه الإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني (٣٥١هـ) على أنَّه لأهل عُمان ليدلِّل به على "تفرُّد كل قوم فيما بينهم بضَرْب أمثال دون آخرين"(٣)، وهو يشير بالتفرُّد إلى خصوصيّة كلّ بيئة بما ألفه أهلُها في حياتهم، فالمثل يُعبِّر عن أنَّ "العُمانيّ يجد لذَّة موافقة هواه للحقّ كتلك اللذة التي يجدها حين يجتمع له في طعامه الرائب والفَرْض، والرَّائب اللبن الخثر، أوالذي مُخِضَ فخرج زُبْدُهُ، والفَرْض من أجود تمور عُمان"(٤).

وجاء بناء جملة المثل على أسلوب الشَّرْط، الذي حُلِّيَتْ جُمْلتاهُ لفظيًّا بالسجع، ومعنويًّا بالتصوير الفنّي، فمثَّلت جملةُ الشَّرط صورةَ المشبه، ومثَّل جوابُه صورةَ المشبَّه به، ويلتقيان في ذلك الشعور النفسي الذي يغمر القلبَ بلذة السعادة وانشراح الصدر.

ونردف بتلك الأمثال العمانيّة أمثالا أخرى كقولهم: "**قَدْ مَلَكَ السَّهْمُ قَصْدَهُ**"، ويُفهم منه أنه يضرب في الأمر يفوت، فلا طمع في تداركه وتلافيه، فهو كقول العرب في مثل آخر: "سَبَقَ السيفُ العذلَ".

وهذا المَثَل قاله سليمة بن مالك بن فهم الأزدي في حادثة قَتْله لأبيه خطأً، كما جاء في كتاب الأنساب للعلامة العوتبي؛ وذلك أنَّ مالكًا قد جعل

---

(١) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج١، ص٨٠.

(٢) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، ج١، ص٦٦.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٦٥.

(٤) لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، ص٢٤٠.

على أولاده الحرس بالنّوبة، في كل ليلة على رجل منهم، فلمّا كانت النوبة على ولده سليمة في إحدى الليالي إذ جاء مالكٌ متخفيًا ليختبر يقظة ولده، "وكان سليمة في ذلك الوقت قد لحقته سِنَةٌ، فأغفى على ظهر فرسه، وهو متنكب كنانته، وفي يده قوسُه، وهو على ذلك الحال إذ أقبل مالك بن فهم في سواد الليل قاصدا نحوه، فحسّتِ الفَرَسُ مالكًا ورأت شخصه من بعيد، وهو متنكرٌ، فصهلت الخيل، فانتبه سليمةُ من سِنَتِه تلك مذعورا، ونظر إلى الفرس وهي ناصبة أذنيها نحو شخص مالك وحسّه، ففوق سهمه في كبد قوسه، ويمّمه نحو شخص مالك وهو لا يعلم أنه أبوه، فسمع مالك صوت السهم، وقد خشف في القوس حين أرسله نحوه، فهتف به: "يا بُنَيَّ: لا ترم، أنا أبوك"، فقال سليمة: "**يا أَبَتِ قَدْ مَلَكَ السَّهْمُ قَصْدَهُ**"، فأرسلها مثلًا، فأصاب السهمُ مالكًا في قلبه، فقتله"(١).

ومن أمثالهم قول المهلب بن أبي صُفْرة: "**صَارَ شَأْنُهُمْ شُوَيْئًا**"(٢)، ونسبه الزمخشري إلى الأَشْعَث بن قيس(٣)، وهو "يُضْرَب لمن نَقَصوا وتغيّرت حالُهم، يقال: تقدّم المهلَّب بن أبي صُفْرة إلى شُرَيح القاضي فقال له: أبا أمية لَعَهْدِي بك وإن شأنَكَ لَشُوَيْن، فقال له شريح: أبا محمد أنت تعرف نعمة الله على غيرك، وتجهلها من نفسك"(٤)

ومنها قول زيد بن صُوحَان العَبْدِي: "**مَنْ يَرُدُّ الفُرَاتَ عَنْ دِرَاجِهِ؟**"، حين أتاه رسولُ عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– بكتاب تأمره فيه بتَثْبيط

(١) الأنساب، ج٢، ص٦٩٤.
(٢) مجمع الأمثال، ج١، ص٣٩٦.
(٣) انظر: المستقصى في أمثال العرب، ج٢، ص١٣٨.
(٤) مجمع الأمثال، ج١، ص٣٩٦.

أهل الكوفة عن المسارعة إلى الإمام علي كرَّم الله وجهه، وكان زيدٌ في صفّ الإمام عليّ، فقال على أثر ذلك فيما قاله: "مَنْ يُردُّ الفرَات عن دِرَاجه؟" ويروى عن "أدْرَاجِه" وهما جمع دَرَج أي عن وَجْهه الذي توجه له، والمَثَلُ "يعنى أنَّ الأمر خرج من يده، وأن الناس عزموا على الخروج من الكوفة، فهو لا يقدر أن يَرُدَّهم من فَوْرِهم هذا"(١).

وقد جاء المثل على صيغة الاستفهام، والمعهود في الأمثال أنها تُبنى على الخبر لا الإنشاء؛ لأنها تنطوي على أحكام قطعية لا ظنية، وأنها تخاطب العقل مخاطبة الواثق بأفكار لا تحتمل الحوار(٢)، وهذا الملحظ الدقيق لم تخرج عنه الأمثال التي جاءت على صيغة الإنشاء كهذا المثل؛ لأنها تستبطن تقريرا خبريا، وإن كان ظاهره إنشاء، فأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي انطوى عليه المثل يقوّي دلالته الخبريّة.

ومن أمثالهم قول صَعْصَعة بن صُوحان العَبْدِي: "**مَنْ أَجْدَبَ انْتَجَعَ**"، وذلك حين "تَغَدَّى عند معاوية ﷺ، فتناول من بين يدي معاوية شيئًا فَقَالَ: يا ابن صُوحان انتجعت من بُعْدٍ، فَقَالَ: مَنْ أَجْدَبَ انْتَجَعَ"(٣)، ويضرب للمحتاج فيُقَال: اطلُبْ حاجتك من وجه كذا(٤)، وقد عَدَّ ابنُ أبي عون قولَ صعصعة من الأجوبة المُسْكِتة(٥).

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٣١٤.

(٢) النثر في العصر الأموي، ص٤١٣.

(٣) مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٢١.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص٣٢١.

(٥) الأجوبة المسكتة، ص٤٩.

ومع اتِّفاق الحكم والأمثال في صيغتهما الموجزة ودلالتهما العميقة وصلاحيتهما لكل زمان ومكان إلا أنَّ المَثَل يفارق الحكمةَ في أنَّه أشيَعُ منها؛ ولذلك قالوا: "أَسْيَرُ مِنْ مَثَلٍ"(١)، فإذا أخذت الحكمة هذه السمة من المَثَل، فسارت سَيْرَه صارت مَثَلًا، يقول أبو هلال العسكري: "...ثمَّ جُعِلَ كل حِكْمَة سائرة مَثَلًا، وَقد يَأْتِي القَائِل بِمَا يحسن أَن يتَمَثَّل بِهِ إِلَّا أَنه لَا يتَّفق أَن يسير فَلَا يكون مثلا، وَضرب المثل جعله يسير فِي البِلَاد من قَوْلك: "ضَرَبَ فِي الأَرْض": إِذا سَار فِيهَا"(٢).

وعلى هذا كان للمهالبة حِكَمٌ شاعت بين الناس وتناقلتها ألسنتهم وسارت سَيْرَ المثل(٣)، وبعض تلك الحكم انتزعها الناس من وصية طويلة، إذ كانت جملتها التركيبية مستغنية بنفسها للدلالة عن فحوى مضمونها، وهذا يعود إلى إحكام مبناها، وغَوْر معناها، فهي كبيت القصيد في معلّقة طويلة، من ذلك قول المهلب بن أبي صُفْرة: "**إِيَّاكَ وَالعِينَةَ، فإِنَّهَا لَعِينَةٌ**"(٤).

ومنه قول يزيد بن المهلب: "**إيّاكَ وَأَعْرَاضَ الرِّجالِ**"، وهو من كلام أوصى به ابنه مَخْلدا جاء فيه: "إياك وأعراض الرجال، فإن الحر لا يُرْضِيه من عرضه شيء، واتَّقِ العقوبة في الأبشار، فإنها عار باقٍ وَوِتْرٌ مطلوب"(٥).

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٦٦٠./ وانظر أيضًا: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج٣، ص١٨٣.

(٢) جمهرة الأمثال، ج١، ص٧.

(٣) لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، ص٢٤٢.

(٤) مجمع الأمثال، ج١، ص٨٧.

(٥) المرجع السابق، ج١، ص٦٣./ الأمثال، ص٨٠.

وهناك أيضًا الأمثال الشعرية عند أهل عُمان(١)، والمَثَل الشِّعْري له وَقْعٌ وأَثَر، فيذهب ابن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) إلى أنَّ "المَثَل إنَّما وُزِنَ في الشِّعْر ليكون أَشْرَد له، وأَخَفَّ للنطق به، فمتى لم يَتَّزِنْ كان الإتيان به قريبًا من تركه"(٢)، وهو يريد بأنَّ الشِّعْر (أَشْرَد) للمثل أي يجعله أكثر شيوعًا؛ فالشِّعْر عند العرب يطوف بين أحيائهم يتناقلونه، وترويه الأجيال فيشيع ويشيع معه المَثَل، ثمّ إنَّ المَثَل لانتظامه في سلك بيتٍ شِعْريّ يُحْدِث وَقْعًا تطريبيًّا بِفِعْل الوزن العروضي، فيكون له وَقْع في النفوس حال الاستشهاد به.

فمن الأمثال الشعرية عند أهل عُمان: قَوْلُ مالك بن فهم: "**لَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَاني**"، وهو من قوله:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ حِينٍ .. فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَاني

والبيت يُنْسَب إلى مالك بن فهم الأزدي(٣)، ومنهم من نَسَبه إلى مَعْن بن أَوْس(٤)، ونُسِبَ أيضًا إلى عَقِيلِ بن عُلَّفَة(٥)، وكذا نُسِبَ إلى غيرهم من الشعراء، وأحيانًا يرد غير منسوب، ويتبين أنَّ لهذا البيت شهرة عند العرب حتى غدوا يتمثلون به؛ فضَمَّنه الشعراء اللاحقون في قصيدهم، ولأجل ذلك اختلف الرواة في قائله.

---

(١) انظر: لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، ص٢٤٣-٢٤٦.

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١، ص٤٥٩.

(٣) انظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص٤٢١/ الاشتقاق، ص٤٩٧، ٥٤٣./ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، مادة: رمي.

(٤) انظر: البيان والتبيين، ج٣، ص١٥٧./ الحماسة البصرية، ج١، ص٣٧.

(٥) انظر: لسان العرب، مادة: سدد، خفق.

وهذا المثل الشِّعري ذكره ابن سلام(٢٢٤هـ) في "باب الخطأ في كُفْران النعمة وسوء الجزاء للمُنْعِم"، ولشُهْرة هذا المثل الشُّعْري وصفه ابن سلام بقوله: "مثلهم المنتشر في العالم"(١)، وفي (مجمع الأمثال) برواية (اسْتَدَّ) بالسين المهملة، وأنَّه مَثَل "يُضْرَب لمن يُسِيء إليك وقد أحسنت إليه"(٢).

ومن الأمثال المأخوذة من شِعْرهم قولُ الشاعر ابن حُمام الأزدي العُماني **(اتَّسَعَ الخِرْقُ على الرَّاقِع)**، فقد جاء عند أبي هلال العسكري (نحو ٣٩٥هـ) في (جمهرة أمثال العرب) قوله: "ورقعتُ الخِرْقَ رَقْعًا وَأَنا راقع، وَمن أمثالهم (اتَّسَعَ الخِرْقُ على الرَّاقِع)، مَعْنَاهُ: قد زَاد الفسادُ حَتَّى فَاتَ التلافي، وَهُوَ من قَول ابْن حمام الأزدي(٣):

كَـالثَّوْبِ إن أَنْهَـجَ فِيـهِ البِلَـى ... أَعْيـا علـى ذِي الحِيلَـة الصَّـانِع

كُنَّـا نُـدارِيها وَقـد مزقـت ... واتَّسَـعَ الخِـرْقُ علـى الرَّاقِـع"

وأبو علي الحاتمي(٣٨٨هـ) أورد البيت الأول وعزاه إلى رجل من أزد عُمان(٤)، ويظهر أنَّ هذا الأزدي العمانيّ هو نفسُه ابن حُمام الأزدي الآنف ذِكْره، فقد ذكره أبو القاسم الآمدي(٣٧٠هـ) فيمن (يُقال له: ابن حُمام)، إذ يقول: "ومنهم ابن حمام الأزدي وهو القائل(٥):

---

(١) الأمثال، ص٢٩٦./ العقد الفريد، ج٣، ص٥٦.

(٢) مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٠٠./ لسان العرب، مادة: سدد.

(٣) جمهرة أمثال العرب، ج١، ص١٦٠.

(٤) حلية المحاضرة، ج١، ص٣٠٢./ وانظر أيضا: المحاضرات في اللغة والأدب، ج٢، ص٤٦٢.

(٥) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراءوكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ص١١٥./ جمهرة الأمثال، ج١، ص١٦٠./ الحماسة البصرية، ج٢، ص٥٣.

كُنَّـــا نُـــدارِيها فَقَـــدْ مُزِّقَـــتْ واتَّسَـــعَ الخَـــرْقُ علـــى الرَّاقِـــعِ
كـــالثَّوْبِ إذْ أَنْهَـــجَ فيـــه البِلَـــى أَعْيَـــا علـــى ذِي الحِيلَـــة الصَّـــانِع

وكذلك أبو هلال العسكري (نحو ٣٩٥هـ) عزا هذين البيتين إلى ابن حُمام الأزدي في حديثه السابق(١)، وبعض المصادر تسمّيه ابن حُمام الأَسْدي(٢)، ولا إشكال في ذلك؛ فإنَّ الأَسْد لغة في الأَزْد(٣).

وجاء البيت الثاني منهما غير مَعْزُوٍّ في بعض المعاجم، مُسْتَشْهَدًا به على "أَنْهَجَ فِيهِ البِلَى" أي: "اسْتَطَارَ"(٤).

والزمخشري (٥٣٨هـ) ربط هذا المثل ببيت آخر يروى لأنس بن العباس بن مرداس، وقيل لغيره(٥)، يقول الزمخشري في (المُسْتَقْصَى في أمثال العرب) "اتَّسَعَ الخِرْقُ على الرَّاقِع يُضْرب فِي الأمر الَّذي لا يُسْتَطَاع تَدَارُكه لتفاقمه قال(٦):

لَا نَسَبَ اليَوْم وَلَا خُلَّة .. اتَّسَعَ الخِرْقُ على الرَّاقِع"

لكن الذي يؤيد رأيَ أبي هلالٍ العسكري في أنَّ هذا المثل مأخوذ من بيت ابن حُمام الأزدي –قولُ أبي علي الحاتمي (٣٨٨هـ): "وأَشْرَدُ مَثَلٍ قِيلَ في اليأس مِنْ تَلَافِي ما تَفَاقَمَ صَدْعُهُ، قولُ رَجُلٍ من أزد عُمان:

---

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراءوكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ص١١٥./ جمهرة الأمثال، ج١، ص١٦٠.

(٢) الحماسة البصرية، ج٢، ص٥٣./ الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٥-٦.

(٣) انظر: الأنساب، ج٢، ص٥٠٥./ الاشتقاق، ص٤٣٥.

(٤) انظر مادة (نهج) في: المحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، وتاج العروس.

(٥) انظر: جمهرة اللغة، مادة: رقع.

(٦) المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٣٥.

والثوب إن أنهج فيه البلى .. أعمى على ذي الحيلة الراقع"(١)

وهذا البيت جاء أيضًا في بعض المعاجم غير مَعْزُوٍّ لقائلٍ(٢).

ومن الأمثال التي يغلب على الظنَّ أنها لأهل عُمان قولهم:

يَا مُقْرِضًا قَشًّا وَيُقْضَى بَلْعَقَا

وهو رجز رواه أبو حنيفة الدينوري، مستشهدًا به على أنَّ القَشَّ رديء التمر عند أهل عُمان، وأنَّ البَلْعق أجود تمورهم، ثم قال عن هذا الرَّجز: "وهذا مَثَلٌ ضَرَبَه لمَنْ يصْطَنعُ مَعْرُوفًا ليَجْتَرَّ أَكْثَرَ منه"(٣)؛ فإنَّ المخاطب يُقْرض غيره القَشَّ وهو رديء التمر؛ ليقضيه المُقْرَض بَلْعَقًا وهو أجود تمورهم.

ومن الأمثال قولهم: "**رُبَّ طَمَعٍ يَهْدِى إِلَى طَبَعٍ**"(٤) أونحو ذلك، وهو مأخوذ من قول ثابت بن كعب الأزدي المعروف بثابت قطنة(٥):

لا خَيْرَ في طَمَع يَهْدِي إلى طَبَعٍ .. وَغُفَّةٌ مِنْ قِوَامِ العَيْشِ تَكْفِينِي

---

(١) حلية المحاضرة، ج١، ص٣٠٢./ المحاضرات في اللغة والأدب، ج٢، ص٤٦٢.

(٢) انظر مادة (نهج) في: المحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، وتاج العروس.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، مادة: قشش./ وانظر أيضا مادة: (قشش) في: لسان العرب، وتاج العروس.

(٤) في بعض كتب الحديث النبوي يرد على أنه جزء من حديث ضعيف الإسناد، وهو "استَعيذوا باللهِ مِن طَمَعٍ يَهدي إلى طَبعٍ..."، انظر: ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير، ص١١٧).

(٥) انظر: الأمثال المولدة، ص١١٨./ مجمع الأمثال، ج١، ص٣٠٦./ المستقصى في أمثال العرب، ج٢، ص٩٧.

وأبو الفضل الميداني(٥١٨هـ) فَسَّرَ (الطَبَع) بالدَّنَس(١)، وأورد أبو علي اليوسي (١١٠٢هـ) هذا المثل، وقال في بيانه: "الطَّمَع: الحِرْص "طَمِعَ فيه" بالكسر طَمَعًا وطَماعًا وطَماعِيَة، والطَّبَع بفتحتين: الدَّنَس والوَسَخ الشديد والشَّيْن والعَيْب، والمعنى: أنَّ الطمع لا يزال بصاحبه حتى يتلطَّخ بكُلّ رَيْبٍ، ويتلوَّث بكُلّ عَيْب"(٢)، ثم أورد بيت ثابت بن كعب الأزدي.

ويرد هذا المثل أيضًا في سياق قِصَّة مَثَلٍ عربيّ آخر يتَّصل به معنًى، وهو قولهم: "أَطْمَعُ مِنْ قَالِبِ الصَّخْرَةِ"، فجاء في قِصَّته: "هو رجل من مَعَدٍّ رأى حَجَرًا ببلاد اليمن مكتوبًا عليه بالمُسْنَد :اقْلِبْنِي أَنْفَعْكَ، فاحتال في قلبه، فوجد على جانبه الآخر: "رُبَّ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ"، فما زال يَضْرب بهامته الصَّخْرة تَلَهُفًا حتى سال دماغُه وقاظ"(٣).

ومن الأمثال قولهم: "**شِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صَاحِبُهُ**"وهو مأخوذ من قول بِشْر بن المُغِيرة بن أبي صُفْرة الأزدي(٤):

وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ.. وَشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صَاحِبُهُ

وأنشد أبو بكر الخوارزمي (٣٨٣هـ) مَثَلًا في الحفظ، وهو قول الخليل بن أحمد(٥):

لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا حَوَى القِمَطْرُ .. مَا العِلْمُ إلا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

---

(١) مجمع الأمثال، ج١، ص٣٠٦.

(٢) زهر الآكم في الأمثال والحكم، ج٣، ص٤٢.

(٣) مجمع الأمثال، ج١، ص٤٣٩./ جمهرة الأمثال، ج٢، ص٢٤./ المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٢٢٥.

(٤) انظر: المستقصى في أمثال العرب، ج٢، ص٣٧٥./ جمهرة اللغة، مادة: بشع.

(٥) انظر: الأمثال المولدة، ص٢٣٧-٢٣٨.

ومما يُتمثل به من شِعْر الخليل بن أحمد في البخيل يتشبّه بالأسخياء قوله(١):

لا تعجبنَّ لِخَيرٍ زَلَّ عن يدِه .. فالكوكَبُ النَّحْسُ يَسقي الأرضَ أَحيانا

(١) انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج٣، ص٤٣٤ ./ محاضرات الأدباء، ج١، ص٦٩٤.

الخاتمة:

بعد دراسة "النثر الفنِّي في الأدب العماني من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي" نخلص إلى نتائج، أهمها:

أولًا: الحراك الأدبي :

كشفت المصادر عن حركة أدبيّة في عُمان في الحقبة المدروسة، كان أبرزها الشعر والخطابة، وهناك ثلاث ركائز ساعدت على إذكاء حركة الأدب في عُمان وعند الأدباء العمانيين في مهجرهم في الحقبة المدروسة، هي مجالس الخلفاء والملوك والأمراء، وأيام العرب، وأسواقهم، وإذا كانت مؤشرات الأدب العُماني في أيام العرب وأسواقهم محصورة في العصر الجاهلي فإنَّ الحِراك الأدبيّ في المجالس امتدّ من العصر الجاهليّ إلى العصر الأموي، ففي عُمان وَفَدَ إلى مالك بن فَهْم أوس بن زيد مناة العبدي، ووَفَدَ إلى الجُلَنْدى بن المستكبر الأعشى ميمونُ بن قيس، ووَفَدَ المُسَيَّب بن عَلَس إلى جَيْفَر بن الجُلَنْدى.

وفي العهد النبوي أظهر شعراء عمانيون دعوة الإسلام، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يُلْقي الوفد العُمانيّ شعره وخطبته بحضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وفي بلاط بني أميّة يظهر الأدباء العُمانيون ففي مجلس معاوية تظهر براعة صعصعة بن صوحان، وإبداع صحار بن عيّاش العبدي، وفي مجلس الحجاج تتجلى بلاغة كعب بن معدان الأشقري.

أمَّا المهالبة العمانيون فقد شاع فيهم الأدب شعرًا ونثرًا، وفي بلاطهم كان للأدب شأن كبير تَجَلَّى فيه الأدب العُماني عند أبي مالك كعب بن معدان، الأشقري وأبي العلاء ثابت بن كعب الأزدي، وعند المهالبة أنفسهم شِعْرًا ونثرًا.

ثانيًا: المصادر :

توقفت الدراسة عند مصادر النثر العماني في الحقبة المدروسة، وتبيَّن قِلَّة ما وصلنا من النثر الفنّي في العصر الجاهلي، وهذا يصدق على الأدب العربي عمومًا، وأهمّ سببين رئيسين في ذلك هما: قلّة الرواة وتأخّر عصر التدوين، أمَّا في العصر الإسلامي فقد وصلنا منه من النثر العماني أكثر مما في العصر الجاهلي ولا سيما في المهجر الأمويّ؛ إذ تهيّأ له رواة في حواضر العراق العلمية ينقلونه ثم أخذ طريقه إلى التدوين.

أمَّا بعد ظهور عَصْر التدوين فتواجهنا أزمة أخرى في مصادر النثر العُمانيّ وهي فَقْد مصادر أدبيّة ثَرَّة، في طليعتها كتاب الأمثال لصحار بن عيَّاش العَبْدي العُمَانيّ (٤٠هـ)، وكذا الكُتُب التي ألَّفها أعلام القرنين الأول والثاني الهجريين عن الأزد وأزد عُمان في تاريخهم وأدبهم، فهذه المصادر للأسف طالتها يَدُ الزمن، وهي مظِنَّة أن تمدَّنا بأدب عُمانيّ من العصر الجاهلي وبعد ظهور الإسلام.

وعلى هذا لم يَبْق لنا سوى الاعتماد على ما تناثر في أُمَّهات كُتُب الأدب، وفي مقدِّمتها بيان الجاحظ، وكامل المُبرِّد، وأمالي القالي، هذا فضلًا عن مصادر أدبيّة وتاريخيّة أخرى، ومن أهم هذه المصادر (نثر الدر في المحاضرات) لأبي سعد الآبيّ (٤٢١هـ) فقد اعتنى بنثر المهالبة في خطبهم ورسائلهم ووصاياهم.

وفي الحضور الزمني كان النثر العُماني في العصر الجاهلي أقلّ أيضًا مما وصلنا بعد ظهور الإسلام، والنثر العُماني في المهجر الأموي أوفر من غيره مما وصلنا، ولهذه الوفرة عوامل –أُشِير إليها سابقًا– منها: عامل المكان في العراق حيث مركز الرواية والتدوين، فالعمانيون في المهجر الأموي كالمهالبة وغيرهم نقلت الرواة أدبهم، فتناثر في أمهات مصادر

الأدب العربي، ثم مع عامل المكان عامل المكانة السياسية والعسكرية للمهالبة؛ إذ تقلَّدوا الإمارة للدولة الأموية في العراق وما جاورها، فكانوا محطّ أنظار الرواة ينقلون عنهم ما جادت به قرائحهم الأدبية وقرائحهم من حولهم من قادة ورُسُل، في خطبهم ورسائلهم وحواراتهم وردودهم وحكمهم وأمثالهم.

ثالثًا: فنون النثر الفني :

في الحقبة المدروسة وقفت الدراسة على النثر الفني في الأدب العماني في ثمانية فنون، على تفاوت في مقدار ما وصلنا من كُلّ فَنٍّ منها، وهذه الفنون هي: [الخُطَب، والرسائل، والوصايا، والتوقيعات، والمحاورات والرُّدود، والقصص، والحِكَم، والأمثال]، وكانت الخُطَب فالرسائل –فيما وصلنا– أوسع زمنًا وأوفر رواية، ثم يليهما الوصايا و(المحاورات والرُّدود) والأمثال والحِكَم، فالقِصص، ثم التوقيعات.

وتنوعت الخُطَب أنماطًا وموضوعات، فثمّة الخطب العسكرية والسياسية والدينية والاجتماعية، فالخطب العسكرية قد تكون حماسيّة يُلقيها القائد للتعبئة النفسية لجيشه، وقد تكون من خُطَب الفتوحات التي تُلْقَى بعد الانتصار والفَتْح، وقد وقفنا على نماذج من الخطب الحماسيّة، وفي الخطب الاجتماعية نجد خُطَب الوفود وخُطَب المفاخرة بين القبائل وما يُلْقَى في حضرة ذوي القُرْبى مما يتناول شأْنًا اجتماعيًّا وهو ما وجدناه عند المهالبة، وفي السياسية وقفنا على نحو خُطَب يزيد بن المهلب وهو يستميل أهل العراق إليه، وتبرز الخطابة الدينية في خضم الفِتَن الواقعة في أواخر الخلافة الراشدة بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وكذا في الاضطرابات الحاصلة في العهد الأموي، وممن مَثَّل هذه الخطب صعصعة بن صوحان وأبو حمزة المختار بن عوف الشَّاري.

والرسائل في الأدب العُماني مما أشارتْ إليه المصادر وصلتنا مكتوبةً في العصرين الراشدي والأموي، وما قبل ذلك فثمّة إشارات إلى رسائل لكن لم تصلنا مكتوبة، فيُحْتمل أنْ يكون تراسلًا شفويًّا.

جاءت الرسائل متنوعة في موضوعاتها، بين الرسائل العسكرية والدينية والعسكرية والسياسية والاجتماعية، ففي الرسائل العسكرية تُشير المصادر إلى تراسُلٍ بين مالك بن فهم والفرس يوم سَلُّوت، وعن المهالبة في العصر الأموي وردتْ رسائل عسكرية، منها رسائل الفتوحات التي تُبشِّر بالنَّصْر وتبيّن كيف كانت مُجْريات المعركة، ومنها رسائل وظَّفها المهلب في المكيدة في الحَرْب.

ولأنَّ المهالبة كانوا أمراء للدولة الأموية فقد غلب على رسائلهم الشأن السياسي والعسكري؛ إذ يتعلق غالب رسائلهم بالإمارة وحَرْب الأزارقة الخوارج، بل ازدهرت الرسائل في هذا العهد حتى أنَّ يزيد بن المهلب كان له ديوانٌ وكان يعتني بانتقاء كَتَبَتِه.

أمَّا الرسائل الدينية فجاءت في سياق الدعوة إلى الإسلام؛ إذ يَبعث عَبْد وجيفر في عُمان إلى وجوه العشائر ومهرة والشَّحْر يدعوانِهم إلى الإسلام، كما وردتْ أيضًا رسائل في سياق الفتن والأحزاب، كما حصل في يوم الجمل، وما كان من رسائل بعثها صعصعة بن صوحان، تكشف مناوأته لمعاوية بن سفيان.

أمَّا الوصايا فالشعر العربي يُشير إلى وصية في مكارم الأخلاق يتوارثها آل مالك بن فهم، وأكثر الوصايا التي وصلتنا كانت عند المهالبة، وهي وصايا تكشف طبيعة أسرة المهلب وبنيه، فجاءت متنوعة الموضوعات من وصايا دينية وتربوية واجتماعية و وإدارية وسياسية وعسكرية، وقد

تتداخل هذه الموضوعات في الرسالة الواحدة لتقاربها كالدينية والتربوية والاجتماعية، وكذا السياسة والعسكرية.

وفنّ المحاورات الردود كشف عن بلاغة القوم، وكان هذا الفنّ يدور في موضوعات ذات بُعْد اجتماعي أوسياسي أوعسكري.

وفي فنّ القصص يرد في المصادر التاريخية قصة يوم سلّوت بين مالك بن فهم والفُرْس بتفاصيل بطولية جسّدت العناصر الفنيّة للقصّة، وبقيت هذه القصة مبعث فخر واعتزاز في الذاكرة العمانية، ومن ذلك قصّة قتل سليمة لوالده مالكٍ خطأً، وكانت هذه القصّة مورد مَثَلٍ من الأمثال العُمانية في العصر الجاهلي.

أمَّا في العصر الإسلامي يرد ذِكْر زيد بن صوحان من القُصّاص الناسكين العابدين، وهو نمط من القصص الديني.

أمَّا الحِكَم فصِيغتْ من فِكْر بيئتها الإسلامية وأصالتها العربية، داعيةً إلى مكارم الأخلاق، من حثٍّ على العلم، والاعتزاز بالصدق، وعناية بالصديق، وحفظ للسرّ، وبذل للمال، وشُكْر على النعمة، وشحذ للهمم، واغتنام للفرص، واستنهاض للشجاعة والبأس.

أمَّا الأمثال فحفظت لنا المصادر أمثالًا عمانية من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، منها ما كان نثْرًا، ومنها أمثال ضُمِّنت سياق بيتٍ شعريّ، ومن تلك الأمثال ما له مورد صدر عنه، فحفظ لنا الموقف الذي قِيل فيه أوّلًا، ثم أصبح يُضْرَب فيما شابهه من مواقف في الحياة، وجاءت تلك الأمثال مُعبِّرة عن البيئة العربية في مواقف بطولية، أو تخرج مخرج الحكمة، أوتكون جوابًا مُسْكِتًا لكلام سابق.

وتبقى التوقيعات أقل الفنون وفرة، ولا عجب في ذلك؛ إذ عُهِدَ هذا الفنّ عند العرب بعد العصر الجاهلي، ويغلب عليه أنّه ذو بُعْد إداريّ سياسيّ

يصدر عن ساسة الدولة، في مواقف خاصّة يقتضي التوقيع فيها، فمن هنا كان هذا الفنّ أقل الفنون وفرة، وليس كذلك سائر الفنون النثرية، فهي ليس محصورة في فئة في المجتمع كساسة الدولة ونحوهم، ثم هي متنوعة في موضوعاتها ومواقفها.

رابعًا: الخصائص الفنية :

النثر الفنِّي في الأدب العماني في الحقبة المدروسة جزء من الأدب العربي في تنوّع أشكاله، وفي خصائصه الفنيّة من اللغة والأسلوب ونمط التعبير، وتناوله النقاد قديمًا –كما تناولوا غيره من النثر في الأدب العربي– في لفتاتهم النقدية وذائقتهم الأدبية.

أمَّا من حيث لغته وأسلوبه فيغلب عليه الاسترسال ووضوح المعنى بعيدًا عن التقعُّر والإغراب، ولعلّ غلبة الموضوعات العسكرية والسياسية ساعدت على هذا الأسلوب؛ إذ الموقف في صرامته وحَسْمه لا مجال فيه لتنميق القول، وتكلُّف صياغته.

أمَّا نمط التعبير فيه فنَجِدُ التعبيرَ بالمعنى المجرَّد، كما نَجِدُ التعبيرَ بالمعنى المُصوَّر، وما من شكٍّ أنَّ التعبير بالتصوير أبلغ دلالة وأوقع نفسًا؛ فهو يُجسِّد المعنى المجرّد في تصوير حِسِّي، من ذلك خطبة الوفد العُماني عند أبي بكر الصديق في تسليمهم أمر عُمان له، بعد أنْ كان بيد عمرو بن العاص، فجعلوا هذا الأمر وديعة مردودة إلى صاحبها، فجاء في خطبتهم: "وهذه أمانةٌ قد كانت في أَعْنَاقِنا، ووَدِيعَةٌ كانت عندنا، وقد تَبَرَّأْنَا منها إليكم، والسَّلام"، وكذا براعة التصوير المتناغم مع إيقاع السَّجْع في حديث صبرة بن شيمان الحداني: "إنّ السيوف لتعرف أكفّنا، وإن الموت ليستعذب أرواحنا، وقد علمت الحرب الزبون أنا نقرع حماها، ونحلب صراها".

ووقفنا على بديعة من بدائع خطب يزيد بن المهلب امتزج فيها التصوير الفني بإيقاع مسجوع بقافٍ مردوفة بألف، ثم إنَّ لها بُعْدًا فنيًّا آخر يتعلق بمضمونها؛ إذ كانت خطبة يزيد في مدح أهل العراق فنسجها في إيقاع سجعها على منوال خطبة الحجاج في ذَمّ أهل العراق، فكانت خطبة يزيد نقيضةً لخطبة الحجاج، سياسة من يزيد في استمالة أهل العراق: "يَا أهل الْعرَاق، يَا أصحاب السَّبق والسِّباق، وَمَكَارِم الأَخْلَاق، إن أهل الشَّام فِي أفوَاههم لقمةٌ دَسِمَةٌ، زَبَّبَتْ لَهَا الأشداق، وقامُوا لَهَا على سَاق، وهم غير تاركيها لكم بالمراءِ والجدال، فالبسوا لَهُم جُلودَ النمر".

ويصوِّر أبو حمزة الشاري أصحابه في خشوعهم وطول عبادتهم: "وإذا مَرَّ بآية من ذكر النار شهق شهقةً، كأن زفير جهنم بين أذنيه، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم".

ويُصوِّر المهلب حال هول الأزارقة في الناس، ويوظّف لغة القرآن الكريم ويُضمِّن آية كريمة بأسلوب سلس؛ إذ يقول: "فقد كان عَلَنَ أمرهم حتى ارتاعتْ له الفتاةُ، ونُوِّمَ به الرَّضِيعُ، فانتهزتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوادَ، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)".

ولم تخلُ الأمثال من الاتِّكاء على التصوير المنسوق على إيقاع السَّجْع، وهو ما نجده في المثل العماني: "إذا وَافَقَ الهَوَى الحقَّ المَحْضَ فالرَّائِبُ بالفَرْض".

ويتبين أن السَّجْعَ أَظْهرُ المحسنات البديعية في هذا السياق، وهو يُشكِّل في النصّ ترديدًا صوتيًّا يُفاجئ المتلقي بإيقاعه المُستطاب، ولا سيما حين يكون دون تكلُّف، ووقفنا منه على نصوص نثرية، منها خطبة يزيد –الواردة آنفًا– جاءت مسجوعة بقافٍ مردوفة بألف، ومنه جواب صحار بن عيَّاش

العَبْدي في وصفه بلاد مكران لعمر بن الخطاب، وقد سبق أن جواب صحار استعمل مع السجع تقنية التكرار.

كما أن نماذج من النثر العماني لفتت انتباه النُّقَّاد القدامى، فكانت محلّ استشهاد بها في ضروب من المعاني وصُوَر من البلاغة، فوقفنا على محاورة كعب بن معدان الأشقريّ للحجاج، ومنها استشهد عبدالقاهر الجرجاني بقول كعب: "هم كالحلقة المفرغة" على (التشبيه البعيد المأخذ).

واستشهد أبو هلال العسكريّ برسالة من رسائل المهلب على حُسْن الإطناب في رسائل الفتوحات، وفي فنّ الإيجاز يستشهد أبو هلال أيضًا بكلام صعصعة بن صوحان.

وفي بلاغة الكلام وبديعه يستشهد أبو منصور الثعالبي بكلام المهلب وابنه يزيد في كثير من كتبه مثل (الإعجاز والإيجاز) و(تحفة الوزراء)، وفي مصنَّفات الجاحظ وإبانة العوتبي نظرات في الخطابة العُمانية.

المصادر والمراجع:

١. الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: عبدالكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢. أبنية الرّسائل في التّراث العُماني من خلال كتابيّ: تحفة الأعيان، ونهضة الأعيان [رسالة ماجستير]، خميس بن راشد بن سيف المنذري، إشراف: د. محمد بن ناصر المحروقي، كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى، سلطنة عمان، ٢٠١٣م.

٣. اتفاق المباني وافتراق المعاني، تقيّ الدين سليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدقيقي المصري، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمّار، الأردن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤. الأجوبة المسكتة، ابن أبي عون إبراهيم بن محمد بن أحمد، دراسة وتحقيق: ميّ أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥. الأزمنة والأمكنة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٦. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار بيروت، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٧. أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، الحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي، أبو محمد الأسود الغندجاني، تحقيق: محمّد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٨. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، ط٣، دار الفكر، بيروت – القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٩. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ/١٩٩١م.

١٠. الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١١. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٢. أمثال العرب، المفضَّل بن محمد الضَّبِّي، قدَّم له وعلَّق عليه: إحسان عبّاس، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٣. الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٤. الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، عبدالمجيد عابدين، مكتبة مصر، الفجالة - القاهرة، (د.ت).
١٥. الأمثال المُوَلَّدة، محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٤هـ.
١٦. الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
١٧. الأنساب، أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: محمد إحسان النصّ، ط٥، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
١٨. الأوائل، أبو هلال العسكري، تحقيق وضبط وتعليق: محمد السيد الوكيل، ط٢، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، المنصورة - مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
١٩. أيام العرب في الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.
٢٠. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢١. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٢. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ب)، (د.ت).
٢٤. تاريخ الأدب العربي (١): العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، مصر.
٢٥. تاريخ الأدب العربي (٢): العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ط٦، دار المعارف، مصر.
٢٦. تاريخ الأدب العربي (٧): النثر في العصر الأموي، غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٢٧. تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك" و"صلة تاريخ الطبري"، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي)، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.
٢٨. تحفة الوزراء، أبو منصور الثعالبي، تحقيق ودراسة: سعد أبو دية، دار البشير، عَمَّان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٩. التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.
٣٠. التراكيب اللغوية والأساليب في الخطب العمانية (القرون الثلاثة الأولى أنموذجا) دراسة وصفية [رسالة ماجستير]، كمال بن عبدالله بن عباس الهنائي، جامعة نزوى، ٢٠١٦/٢٠١٧م.

٣١. التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٣٢. تعليق من أمالي ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: السيد محمد السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – قسم التراث العربي، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٩م.
٣٣. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
٣٤. الجامع في الأدب العُماني، سالم بن سعيد البوسعيدي، دار القارئ، بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٣٥. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر، ١٩٨٨م.
٣٦. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
٣٧. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٨. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٢هـ/١٩٢٣م.
٣٩. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.
٤٠. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.
٤١. حياة عمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الأولى ١٣٤هـ، زايد بن سليمان بن عبدالله الجهضمي، مطابع النهضة، مسقط، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٢. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٣. الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة بن الحسن الأصبهاني، حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه: عبدالمجيد قطامش، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٤٤. ديوان الأعشى الكبير "ميمون بن قيس"، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، مصر.
٤٥. ديوان الشعراء المُعَمَّرين: أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، صنعة: شمس الدين أحمد حالو، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠م.
٤٦. ديوان المُسيَّب بن عَلَس، جمع وتحقيق ودراسة: عبدالرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٤٧. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٨. الرّدة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٤٩. رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، ضبط نصَّها: عمرو خليفة النَّامي، راجعها: سلطان بن مبارك الشيباني، دار الدعوة، نالوت– ليبيا، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٥٠. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
٥٢. الشعر القديم في عُمان: نظرات في أصول الشعر العُماني ، محمد المحروقي، حصاد ندوة "الأدب العماني القديم"، المنتدى الأدبي، مسقط، ٧ محرم ١٤٣١هـ/١٣ ديسمبر ٢٠١٠م، ص ص ٢٩-٦١.
٥٣. شعر كعب بن معدان الأشقري، جمعه وحقّقه: أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي- هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٥٤. شعراء عمان في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق: أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥٥. الصحابة العمانيون ﷺ، حمد بن سالم بن حمد الشبلي، ط٢، (د.ن)، (د.ب)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.
٥٦. ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، (د.ب)، (د.ت).
٥٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
٥٨. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
٥٩. العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٦٠. عمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، حمد صراي، مكتبة الفلاح، العين – الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٦١. العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، حقَّقه وعلَّق عليه وصنع فهارسه: النبوي عبدالواحد شعلان، ط٢، دُرَّة الغوّاص، القاهرة، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

٦٢. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٦٣. غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٦٤. الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ط٤، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٥. الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمرالأَسَدي التَّميمي (٢٠٠هـ)، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦٦. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٧. الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط٦، دار المعارف، القاهرة.

٦٨. الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٦٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٠. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٧١. كتاب أسرار البلاغة، أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٧٢. كتاب الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
٧٣. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٧٤. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٧٥. لغة أهل عمان في عصر الاحتجاج اللغوي، أحمد بن محمد الرمحي، ذاكرة عمان، مسقط، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
٧٦. مجمع الأمثال، أبو الفل أحمد بن محمد المَيْداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
٧٧. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٧٨. المحاضرات في اللغة والأدب، الحسن اليُوسي، تحقيق وشرح: محمد حجّي وأحمد الشرقاوي إقبال، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
٧٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٨٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨١. مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.

٨٢. مداخل للنثر العماني القديم، محمد عبدالله زروق، حصاد ندوة "الأدب العماني القديم"، المنتدى الأدبي، مسقط، ٧ محرم ١٤٣١هـ/١٣ ديسمبر ٢٠١٠م، ص ص١٧-٢٧.

٨٣. مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان المصادر- المناهج- المراحل- النماذج، أحمد ردويش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.

٨٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللّحام، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨٥. المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨٧. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٨٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٨٩. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، حقّقه وقدّم له وفهرسه: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩٠. مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ضبط وشرح وتقديم: محمد الإسكندراني، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩١. موسوعة أمثال العرب، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٩٢. الموسوعة الشعرية لأمير البيان، الشيخ عبدالله بن علي الخليلي، تحقيق: سعيد بن سالم النعماني، الناشر: أنجال المؤلف، سلطنة عمان، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٩٣. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م.
٩٤. نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي أبو سعد الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٥. النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
٩٦. النثر في العصر الجاهلي، هاشم صالح منّاع، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٩٧. نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م.